العدد الأول من السنة الرابعة ذى الحجة سنة ١٣٦١ — يناير سنة ١٩٤٣

مجلة
الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

(بالمجان)

مدير التحرير : حسن الشريف : تليفون ٨٥٣١٢

القاهرة
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٤٣

فهرس العدد

		صفحة
عدد الشؤون الاجتماعية فى عامها الرابع		٣
مرلابد منه...	الأستاذ عبد الحميد عبد الحق	٤
الشؤون الاجتماعية فى خطاب العرش...		١١
الطلاق	محمد على علوبه باشا	٢٢
إموال أسبوع البر		٢٧
فى المستقبل آمال	الأستاذ سيد قطب	٣٠
الأغانى المصرية	الأستاذ فايد العمروسى	٣٩
حاجتنا الى النادى النموذجى	الأستاذ صلاح الدين الشريف...	٤٥
متاعب التموين ومطامع الشعب...	الأستاذ عماد الدين عبد الحميد	٥١
هل عندنا فتيات صالحات للزواج ؟	الكاتبة زينب محمد حسين	٥٥
ألحان سيد درويش		٦٠
تسفيرة العلم وضرورة إلغائها	الأستاذ عريان سعد...	٦٤
لماذا نفشل فى حياتنا العملية	الأستاذ عيسى متولى...	٦٧
المجد ... ... (قصة اجتماعية)		٧١

مجلة الشؤون الاجتماعية

فى عامها الرابع

تخطو مجلة الشؤون الاجتماعية بهذا العدد الخطوة الأولى فى عامها الرابع . وهى ترسل بصرها ، بهذه المناسبة ، الى الماضى مرة ، والى المستقبل أخرى .

فأما نظرتها إلى الماضى فتملؤها رضى وغبطة بما ساهمت به فى نهضة الإصلاح الاجتماعى من بحث وتوجيه واقتراح . وبحسب من يراجع أعدادها فى سنواتها الثلاث أن يجد فيها بذورا لمختلف مشروعات الإصلاح التى تحققت بالفعل والتى لا تزال فى دور التحضير ، ويجد صدى لبحوثها فى شتى الصحف والمجلات والمجتمعات .

وأما نظرتها الى المستقبل فتملؤها أملا واستبشارا بتحقيق الرسالة الإصلاحية لوزارة الشؤون الاجتماعية التى هى لسان حالها ، الهاتف بدعواتها ، المفسر لرغباتها .

وبعض هذا وذاك يدعو الى الرضى والى الاستبشار .

ولن يفوتنا فى هذه المناسبة أن ننوه بما لقيته المجلة من التأييد المشجع ، والتوجيه المرشد ، من حضرات أصحاب المعالى وزراء الشؤون الاجتماعية . وأقرب ما يذكره القراء ذلك الثناء المقوى للهمم ، المثير للعزائم ، الذى أضفاه عليها معالى وزير الشؤون الاجتماعية فى خطبته بمدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية .

نسأل الله أن يوفقنا الى تحقيق أهدافنا فى ظل صاحب العرش المفدى .

هل الحرب شر لا بد منه ؟

المحاضرة التى افتتح بها حضرة صاحب المعالى وزير الشؤون الاجتماعية موسم المحاضرات فى قاعة يورت الذكارية .

إنى لمغتبط بأن أقف على هذا المنبر الذى طالما انبعثت من فوقه كلمة الإصلاح والثقافة حرة قوية فتقبلتها الأمة شاكرة مغتبطة .

و إنى لأرجو أن يكون هذا الموسم كالمواسم السابقة ناجحا بالغ الأثر فى حياتنا الاجتماعية.

و بعد فإنى أعجب لماذا خصنى حضرة الأستاذ كيلاند بالكلام عن الحرب وأنا أتأمل نفسى فأجدنى لا أصلح للحرب بأية حال من الأحوال و بالتالى لا أصلح للكلام عنها وعن الحكم عليها !

ثم أتساءل عما إذا كان هذا الوقت الذى نسمع فيه قصف المدافع هو الوقت الملائم للتفكير ، فيا إذا كانت هذه الأصوات المزعجة ضرورية أم غير ضرورية ؟

ولكنى أعود فأقول : إن الكلام عن الحرب شىء آخر غير الحرب وممارستها على كل حال !

* * *

هل الحرب خير ؟ :

إن الكلام عن الحرب قديم كالحرب نفسها ، والحرب قديمة قدم الإنسان على ظهر هذه الأرض .

وعلى الرغم من أن الحرب هى الموت والخراب والآلام فقد اختلف المفكرون فى أمرها ، اختلفوا فى طبيعتها ، وفى إمكان الاستغناء عنها ، بل إن من بين كبار المفكرين من مجدها ونظر اليها كأنها عنوان الحيوية مهما حصدت من الأرواح الغضة الفتية .

يرى "برودون" أن الحرب ظاهرة فسيولوجية ، وانها دافع من دوافع النفس يكون ثروتنا العلمية والخلقية . إنه يقول إنها سنة من سنن الحياة ، لأن مظهر الحياة هو الحركة والقوة ، والمظهر الأول للحركة والقوة هو الكفاح والحرب ، فالإنسان يكافح فى سبيل الحياة كل ما يقف فى طريقه . فإن وقف فى طريقه رجل آخر كافحه ووقعت الحرب بينهما .

ويرى "دولين" وغيره من المثاليين أن الحرب ضرورة من ضرورات الحياة فلا محل للقول بأنها تتنافى مع الأخلاق، ولذلك فهى تحدث بين الهمج كما تحدث بين المتمدنين .

أليس قانون بقاء الأصلح حقيقة لامرية فيها ؟ أليست نظرية "تنازع البقاء" أمرا لاشك فيه ؟ فالحرب مظهرهما وأداتهما لإزاحة الضعيف من طريق القوى ، وفى هذه الصورة الأخيرة يتبين لنا أن الحرب ليست ظاهرة فى الحياة الانسانية فقط، وإنما هى ظاهرة الحياه كلها ، وهى وسيلة الطبيعة الأولى لتنظيم الحياة ؛ حيوانية كانت أو نباتية . بل لقد ذهب بعض الفلاسفة قديما وحديثا إلى ذم السلام .

ويعلل "أنسيون" ذلك تعليلا غريبا فهو يقول إن السلام مصدره الثروة ، والثروة أداة اللذة والدعة ، وهى مفسدة أى مفسدة ، تخلق الأنانية ، وتدهور الخلق وتودى بالأمم .

قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم "وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ".

وقال تعالى "وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ"

إن الحرب أم الشدائد فهى خير واعظ ومرب للأفراد والأمم ، تغرس فى النفس خير الفضائل الإنسانية ، تغرس الشجاعة والقوة . والصبر والحزم ، واحتقار الموت . وتعلم تضحية المال والحرية والحياة ، بل التضحية بما هو أثمن من الحياة ، تضحية الأسرة والأبناء وتضحية المجد ولذة الهوى والشباب .

ولا يظن أن ذلك كله إنما يفعله الانسان مرغما لأنه لاحيلة فى غيره . بل ان هيجيل يفسر ذلك بأن الحرب ضرورية للتطور الخلقى فهى تقوى فضائل الإنسان التى يضعفها السلام.

وهذه الفضائل لاتنمو فى خلق المحاربين فقط بل تتعداها الى غيرهم بحكم التضامن الاجتماعى .

وذهب نيتشه إلى أبعد من ذلك فدعا قومه إلى الحرب وحببها إلى نفوسهم فنادى بأن تكون دينهم .

" يجب أن تحبوا السلام ، لا للسلام نفسه، بل لأنه وسيلة لحرب جديدة ، لا أنصح لكم بالجد فى عملكم بل أنصح لكم أولا بالكفاح . "

" لا أنصح لكم بالسلام و إنما أنصح لكم بالحرب لأنها وسيلة النصر . "

ومن الغريب أن " جوستاف لوبون " يقول ما يقرب من ذلك :

" لو أن هناك أمة سلمية بطبيعتها لمحيت من التاريخ على عجل لأن الحياة جهاد، والجهاد ناموس عام ."

. قد ذهب العرب فى الجاهلية إلى ما ذهب اليه نيتشه فكانوا يقولون لمن مات على الفراش "مات حتف أنفه" وقد سمعت بعض أعراب قبيلة المعازه إلى اليوم يندبون رجلا منهم مات مريضا و يأسفون لأنه لم يمت قتيلا .

ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل أخيه مصعب وقف يخطب الناس فقال :

" لن يقتل فقد قتل أبوه وأخوه وعمه، إنا والله لا نموت حتفا ، ولكن قتلا بأطراف الرماح وتحت ظلال السيوف " .

وبذلك يفخر السموءل بن عادياء فيقول :

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا ظل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظباة نفوسنا وليست على غير السيوف تسيل

ولا نزاع فى أنه على جوانب شرور الحرب تثبت مزايا كثيرة ، فهى مهماز الإنسانية يدفعها إلى قطع مراحل جديدة واسعة فى فيافى العلم والمعرفة ، فتقدم الطيران والملاسلكى والجراحة والكيمياء وكافة الفنون الصناعية تنهض بالأمم وقت السلام .

كما أنها تدفع الأمم إلى وضع تشريعها على أساس اجتماعى يحقق تضامن الطبقات . ففوق أنها تجمع بين الجميع فى صفوف واحدة يستهدفون للقتل والأسر والجوع ، فإنها تدفع الحكومات إلى رفع الضرائب على القادرين مما يقرب الشقة الواسعة بين الأغنياء والفقراء ويحقق المساواة الاجتماعية .

وكثيرا ما يبقى أثر هذه التشريعات بعد الحرب ويعود بالخير على الطبقات الفقيرة ، كتشريعات العمال ، وإعانة الفقراء ، وإعانة البطالة .

* * *

هل الحرب شر ؟

على أنه بالرغم من كل ذلك فشرور الحرب تفوق كل تصور وكما وجد فلاسفة يمدحونها فقد وجد آخرون يذمونها وينددون بها كأكبر رذائل الحكومات والإنسانية .

من هؤلاء فولتير ، ولا مارتين ، ولقد كتب إميل دى جيراردان كتابا عن الحرب سماه فيه بأن الحرب ليست إلا السرقة فى أوضح معانيها ، وبأنها ليست إلا القتل والنهب وأن الحكومات بما لاتها إنما تحرض على القتل والسرقة .

وقال : " إنها القتل والسرقة التي يصفق لها وتنصب لها أقواس النصر مكان المشانق ويكافأ من أجلها بالمال والياشين بدلا من العقوبة والزج في السجون ، أنها أعظم مظهر على جنون الجماعة لأنها تبيح ما يحرمه القانون والدين " .

ويصف تولستوى المحاربين بأنهم ليسوا إلا قتلة منظمين .

والأديان مجمعة على تفضيل روح السلام والتسامح ، فمن وصايا المسيح عليه السلام ما جاء في الإصحاح الخامس من إنجيل متى : " سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا "

وجاء في القرآن الشريف في قصة هابيل وقابيل : " لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ، مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ، إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ " .

وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة "

ثم آثر السلم على الحرب بمجرد إمكانها فقال : " وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ " .

والإسلام على العموم لم يقرر إلا الحرب الدفاعية للذود عن الدين أو لحفظ النظام .

ولا غرابة في ذلك فإن الحرب تترك وراءها اليتم والترمل والتدمير ، وتشل الحركة العمرانية وتنشر الفقر والجوع في المدن والقرى .

وفوق ذلك فهي تنتزع أصح الأيدي العاملة ، وأنضج الرءوس المفكرة ، وتخلف وراءها ملايين من العجزة والمشوهين .

في الحرب العظمى مات ٨ ملايين ، وجرح وشوه ١٧ مليونا ، وصرف فيها ألف مليار فرنك وخرب في أوربا ما قيمته ٥٠٧ مليارات فرنك .

أسباب الحروب :

هناك أسباب لا يمكن عدها تعمل على إثارة الحروب وتختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة فعلاوة على أن بذور الحرب كامنة في الطبيعة البشرية بحكم الغرائز التي تدفع إلى حب الملك والسيطرة والتنازع على البقاء فهناك أسباب أخرى تنشئها الملابسات والظروف .

هناك أسباب أدبية وتقليدية ، منها الأخذ بالثأر الذى يتعدى الأفراد إلى المجموعات. وكثيرا ما ثارت الحروب أيام القبائل البدائية لهذا السبب ، وما قيل من الشعر العربى فى حروب الأخذ بالثأر يكون جزءا عظيما من شعر الحماسة فى الجاهلية و بعد الإسلام .

ومنها اتخاذ الحرب رياضة وفروسية ، كما كان الحال فى العصور الوسطى ومعظم حروب العرب كانت مشبعة بهذه الروح ، وكانت مفخرة من المفاخر للفرد والقبيلة .

وهناك أسباب تاريخية وقومية كملخ جزء من الوطن تنازعه فريقان. وقد كانت الألزاس واللورين من الأسباب الأولى فى الحروب بين فرنسا والمانيا ، كما كانت الحرب بين فنلندا وروسيا لسبب كهذا فى أصلها . أو كرغبة بعض الولايات فى الاتحاد بينها وذلك كالحرب الأمريكية بين الشماليين والجنوبيين أو كالحرب بين بروسيا و بعض الولايات الألمانية .

وهناك عوامل فكرية ودينية : كالثورة الفرنسية ، وثورة الحر على القيصرية ، والحرب الاسبانية . ومثل الحروب الصليبية التى كانت صراعا بين العقائد والأفكار أو بين التعصب لهذه العقائد على وجه أصح .

وهناك أسباب اقتصادية واجتماعية : فكثيرا ما كان سوء توزيع المواد الأولية والمنافسة التجارية فى ميادين التوزيع سببا من أسباب قيام الحروب ولا سيما فى العصر الحديث ، كما أن سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية الداخلية كالفقر والبطالة وتكاثف السكان كثيرا ما تدعو الى الاتجاه نحو الحرب للتخلص منها أو لتعديل الأوضاع القائمة التى تؤدى إلى الفقر والبطالة .

وهناك أسباب علمية وعمرانية : فالتقدم العلمي والصناعى الذى ينشأ عنه انقلاب فى الأوضاع الفكرية والاقتصادية ، كثيرا ما تنشأ عنه الحرب ، كذلك ، . لنذكر أن التقدم الصناعى هو الذى جعل "الانتاج الكبير" يحل محل الانتاج الفردى ، فزادت كميات الانتاج عن الاستهلاك المحلى ولم يعد بد من ايجاد الأسواق للتصريف وايجاد المستعمرات لانتاج المواد الخام ومن هنا زادت حدة الصراع العالمى وتقاربت الفترات بين الحروب فى العصر الحديث .

وسائل منع الحرب :

وقد فطن المفكرون والسياسيون إلى هذه الأسباب ، و يبدو أنهم عازمون على محاولة منعها بقدر ما فى الطاقة .

فبرتراند رسل الفيلسوف الانجليزى المعروف يرى أن نحاول بث روح السلام بالتربية على شرط أن نبرهن على أن فكرة السلام العام لا تعارض المصلحة القومية ولا تنقص من الروح الوطنية ، و بذلك نكون قد هيأنا النفوس للبعد عن الحرب وحب السلم لمدى طويل .

كما أن دستور الاطلنطى الذى عقد بين الولايات المتحدة و إنجلترا ثم انضم إليه كثير من الدول قد اعترف بضرورة توزيع المواد الخامة توزيعا عادلا ، وبحق كل الأمم فى الحياة التى تريدها .

ومن قبل هذا بذلت عدة محاولات لاستبعاد الحرب كوسيلة لفض النزاعات التى تقوم بين الامم وفى مقدمتها ميثاق بريان — كيلوج وقد نص فيه على استنكار الحرب كوسيلة لفض النزاع وعلى ضرورة الالتجاء إلى الوسائل السلمية دون سواها .

وكذلك كانت شروط ولسن الأربعة عشر المشهورة وميثاق عصبة الأمم خطوتين فى سبيل تحكيم وسائل السلم واستبعاد الحروب ، ولكن وقعت أخطاء فى التطبيق يحاول الساسة الآن اجتنابها كما ورد فى تصريح الاطلنطى .

ثم إن أفكار المصلحين والسياسيين تتجه الآن إلى الحيلولة دون الحرب بواسطة الإصلاح الاجتماعى الذى يذهب بالأسباب الاقتصادية والاجتماعية الداخلية للحروب ويجعلون ذلك قرينا للضمانات الحربية والسياسة الخارجية .

وفى ذلك يقول مستر هربرت موريسون وزير الداخلية الإنجليزية :

"إن الهدف الذى نرمى إليه هو نظام تعاونى دولى يدعمه بوليس وطيران دوليان تعيش الدول فى رحابه ، مضحية عن طيب خاطر ببعض حقوق استقلالها لتتضافر جميعها فى إخلاص على خلق حياة أرقى وأصلح .

" ينبغى أن نعيش فى ذلك النظام الذى يمنح فيه كل إنسان ليس فقط حرية القول والفعل بل حرية العمل .

"ينبغى أن نسير نحو ذلك المجتمع الذى برئ من ذلك الطاعون المزدوج : الغنى المتطرف والفقر المتطرف ، نريد مجتمعا يقبل فيه عن طيب خاطر مبدأ المحافظة على مستوى معقول للصحة والراحة والطمأنينة والأمن والتهذيب لكل إنسان " .

وتلك بشائر عالم جديد إذا أدت إليه الحرب الحالية كان الثمن الباهظ الذى أدته الإنسانية فى شرائه ثمنا معقولا !

على أن بعضهم يرى أن الحرب فكرة قديمة ستزول كما زالت فكرة الأشراف والإقطاعيات ويرى أن الأفراد فى العصور الحديثة سيفضلون مصلحتهم الشخصية على فكرة خيالية مثالية كفكرة مصلحة الدولة والمجموع وبذلك يحجمون عنها .

وعلى طرافة هذه الفكرة فإن الأدب العربى لم يخل من نظرية قريبة منها وهى أن المرء إذا استجاب لدعوة العقل رأى الحرب جنونا .

وقد عير بعضهم بالفرار من الموقعة فقال :

"لأن يقال فر أخزاه الله ، خير من أن يقال مات رحمه الله" وقيل لأعرابى : "ألا تجىء معنا لقتال الأعداء ؟ " فأجاب : "وكيف يكون لى أعداء وما أعرفهم ولا يعرفونى ؟ " وقيل لآخر : " ألا تذهب إلى الحرب ؟ " فقال : " والله إنى لأبغض الموت على فراشى فكيف أسعى إليه ركضا ؟ " .

وحضر بعض الجبناء جريا فقيل له تقدم فأنشد يقول :

وقالوا تقـــدم قلت لست بفاعل	أخاف على نخـارتى أن تحطما
فلو كان لى رأسان أتلفت واحدا	ولـكنه رأس إذا راح أعقمـا
ولو كنت مبتاعا من السوق مثله	فعلت ولم أحفل بأن أتقدما
أأوتم أطفالا وأرمل نســوة	فكيف على هـــذا ترون التقدما ؟

ويقول أبو نواس :

مالى وللبيض والأرماح أحملهـا	الخـــوف خير وأبقى أيها النـاس

كلمة ختـامية :

نعود فنتساءل " هل الحرب شر لا بد منه " ؟

لقد استعرضنا عوامل الحرب وعوامل السلام ، ولكننا نسينا أن نقرر أن الحرب كانت فى كل وقت أبلغ دعاة السلام ! ذلك أن جهنم الحرب التى تنصب على البشرية فى عنف وقسوة ، تضطر هذه البشرية إلى محاولة الاهتداء العاجل إلى نعيم السلام وفردوس الأمان.

الحـرب إذن تحمل فى كيانها جرثومة فنائها ، وإذا كان جوابنا فى المـاضى على سؤال الليلة " نعم الحرب شر لابد منه " فنرجو أن يكون جوابنا فى المستقبل " كلا بل الحرب شر قد انتهينا منه " .

عبد الحميد عبد الحق

الشؤون الاجتماعية
فى خطاب العرش

نشر الملكيات الصغيرة — تنظيم التعاون — تشريعات العمال — تعديل لائحة السجون — التغذية العامة — ضريبة الخدمة الاجتماعية — مشروعات أخرى

١ — نشر الملكيات الصغيرة

تضمن خطاب العرش مبادئ السياسة الاجتماعية التى أخذت الحكومة نفسها بها فى العام المقبل ، ولم تكن هذه المبادئ رغبات عائمة ولا جملا إنشائية ، إنما كانت مشروعات معينة ، معظمها قد تمت دراسته وتحوّل الى مشروعات قوانين ستقدم فى هذه الدورة البرلمانية .

وقد ذكرنا فى هذه المجلة — فى عدد فائت — أن "مشروع الموسم" فى العام الماضى كان "مشروع تحسين الصحة القروية" فيجب أن نذكر أن "مشروع الموسم" فى هذا العام هو " مشروع نشر الملكيات الصغيرة " .

ولهذا المشروع قصة لا بأس من إيرادها ... فقد كانت الدولة تستصلح فى كل عام رقعة من الأراضى البور فتصبح بذلك أرضا خصبة صالحة للزراعة ، ولما لم تكن لها إذ ذاك سياسة اجتماعية معينة ، فقد كانت هذه الأراضى تضم إلى "مصلحة الأملاك الأميرية" حيث تديرها الحكومة بأموالها وموظفيها . أو كان بعض من كبار الموظفين يستبدلون بمعاشهم فى صفقات رابحة ، قطعا من هذه الأراضى ... وفى كلتا الحالتين لم يكن للطبقات الشعبية منها نصيب .

كانت هذه هى السياسة التى توحى بها العقلية البيروقراطية . وكانت فيها خسارة للدولة وللشعب من الوجهتين الاقتصادية والاجتماعية . فأما من الناحية الاقتصادية ؛ فالمعروف فى كل بلاد العالم أن الحكومات لا تصلح لأعمال الاستغلال ، لأن نظمها واجراءاتها ومرتبات موظفيها تجعل عمليات الاستغلال التى تتولاها خاسرة أو لا ربح فيها بالقياس الى العمليات التى يتولاها الأفراد أو الشركات . وأما من الناحية الاجتماعية فقد كان فى حبس هذه الأراضى أو منحها لكبار الموظفين حرمان للطبقات المنتجة عن التمتع بحق الملكية الصغيرة . هذا الحق الذى يرفع المستوى الاجتماعى لعدد كبير من الأفراد والأسر الشعبية .

ثم شاء الله أن يكون فى وزارة الشؤون الاجتماعية وزير شعبى لا تحكم البيروقراطية فى تفكيره فأراد أن يكتب فصلا جديدا فى قصة " الأملاك الأميرية " وأن يخلق عن طريقها طبقة من صغار الملاك يرفعها من وهدة الحرمان إلى حياة متوسطة معقولة ... وكان هـذا الفصل الجديد هو " مشروع نشر الملكيات الصغيرة ".

إن هذا الفصل الجـديد هو الفصل الصحيح الوحيد فى تلك القصة الطويلة ، وهو الفصل الذى يقول عنه خطاب العرش :

" وكذلك قررت حكومتى العمل على نشر الملكيات الصغيرة عن طريق توزيع مقـدار كبير من أراضيهـا المستصلحة على صغار الفلاحين بشروط تمكنهم من سهولة الاستغلال ، وتهيىء السبيل لإنشاء قرى جديدة سالمة من العيوب الحالية ".

وإلى أن تعرف هذه الشروط التى يشير إليها خطاب العرش ، نقدم الملاحظات التالية ، المستقاة من تجربة " رومانيا " لتوزيع الأراضى فيها حتى نتقى الأخطاء التى وقعت فيهـا ، ونتنفع بالتجربة التى سبقتنا إليها :

يختلف مشروع " رومانيا " الذى قامت به فى سنة ١٩١٨ وعدلته فى سنة ١٩٢١ عن المشروع المصرى فى أسسه وفى الغرض منه ، ولكنهما يتفقان فى مبدأ التوزيع . ومن هنا يصح أن نتنفع بتلك التجربة فيما أسفرت عنه :

١ — كانت الظروف المحلية لرومانيا تقضى عليها بتوزيع كثير من الأراضى على الجند الذين وفوا مدة الخدمة أو أرامل الجنـد الذين توفوا فى الحرب . وهؤلاء جميعا لا خبرة لهم بالمسائل الزراعية ، فنشأ عن هذا نقص فى الاستغلال أثر فى الاقتصاد القومى .

ووجه انتفاعنا من هـذه الحقيقة أن نتحرى فى توزيع أراضينا أن ينالهـا من هم أهل لاستغلالها ممن سبقت لهم خبرة زراعية كافية لحسن الاستغلال ، حتى لا تتأثر حركة الانتاج العام .

٢ — فى رومانيا حددت الملكيات الكبيرة بخمسمائة هكتار أى نحو ١٢٥٠ فدانا لا تجاوزها ووزع الباقى ملكيات صغيرة ولما كان صغار الملاك لا يملكون المال والأدوات التى يملكها كبارهم فقد كان هذا سببا فى نقص المحصول .

ووجه انتفاعنا من هـذه الحقيقة أن نحاول تدارك هذا النقص عند توزيع أراضينا . وذلك بنشر الحركة التعاونية بصفة إجبارية بين الملاك الجدد ، حتى يستعيضوا بقوة التعاون عن قوة الملكيات الكبيرة ومقدرتها على الإنتاج وعلى حسن التصريف .

وسيساعد على جعل هذا التعاون حقيقة واقعة تجاور الملكيات الجديدة واتفاق ظروف المالكين الجدد . ولكن يجب ألا نركن الى هذه العوامل فنترك حركة التعاون للظروف ، بل يجب أن نفرضها فرضا على هؤلاء الملاك ونعتقد أن هذا سيكون النواة الحقيقية لنظام التعاون العام فى البلاد .

٣ — سنت رومانيا قانونا للميراث يمنع من توزيع الأراضى عن طريق الميراث أوعن أى طريق آخر إلى نسبة أقل من هكتار أى ٣,٧ فدان احتياطا من توزع الأرض الى ملكيات تافهة تؤدى فى النهاية الى ضعف الاستغلال أو انعدامه .

إلا أننا فى مصر لانستطيع سن مثل هذا القانون بسبب نظام الإرث الإسلامى ، فيجب أن نفكر فى طريقة أخرى نتقى بها أثر توزيع هذه الملكيات . ونحن نؤثر هنا أن نشير الى المشكلة دون أن نحدد لها حلا معينا تاركين هذا الحل الى لجنة من الاقتصاديين والقانونيين ورجال الشريعة الإسلامية[1] .

بقى أن نذكر أن حماية هـذه الملكية مسألة واجبة ، وقد يتبادر الى الأذهان أن قانون خمسة الأفدنة كفيل بهذه الحماية ، فيجب ان نقول : إن هذا القانون بوضعه الحالى لايكفى ، لأن به منافذ يسلك منها المرابون والمحتالون على الفلاح المسكين .

ذلك أن القانون قرر حماية الملكية التى لا تزيد على خمسة أفدنة من نزعها ؛ ولكنه لم يقرر الاحتفاظ بهذا الحد الأدنى اذا زادت الملكية عنها . فنشأ عن ذلك أن المرابين عند إجراءات عمليات القرض التى يضطر اليها المالك الصغير يضمون الى ملكيته بطريقة من الطرق مقدارا يجعلها تتجاوز هذا الحد ، وبذلك يستطيعون نزع ملكيته كلها عند الاقتضاء .

فيجب أن يسد مثل هذا المنفذ فى القانون ، وان تيسر وسائل القرض القانونية لهؤلاء الملاك وأن يمنعوا من الاقتراض الخارجى بطريق القانون .

ويبقى أن نذكر كذلك أن مساحة الأراضى المعدة لهذا المشروع تبلغ حوالى مائة ألف فدان . وقد جاء فى خطاب العرش أن مقدارا كبيرا منها هو الذى سيوزع على صغار الفلاحين فنرجو أن يتناول هذا المقدار معظم هذه الأراضى — وتمنينا لو تناولها جميعا — فإن الداعى الوحيد لبيع بعض هذه الأراضى لكبار الملاك هو عودة ثمنه الى الخزانة العامة عاجلا .

وهى حجة قد تكون وجيهة فى الظروف الاستثنائية الحالية ، ولكن هناك نظرة أخرى فى توزيعها على صغار الزراع ، هذه النظرة تؤثر الإصلاح الاجتماعى على المصالح المؤقتة . على أن ثمن

(١) استقينا المعلومات الواردة عن توزيع الأراضى فى رومانيا من تقرير سعادة جلال فهيم باشا عن المؤتمر الزراعى الدولى لسنة ١٩٣٩

هذه الأراضى لن يضيع حين توزع على الملاك الصغار ، إذا نظرنا إلى المسألة نظرة أوسع ، والدولة فى هـذا ليست كالأفراد ، فميزانيتها ميزانية أجيال لا أعوام وليس من الصعب أن تسترد هذه المبالغ بطرق غير مباشرة .

وسنرى أن كل حجة ستتضعف أو تتلاشى اذا ذكرنا أن توزيع هـذه الأراضى سيرفع عشرين ألف أسرة، تبلغ نحو مائة ألف نفس من الحرمان والجهل الى مستوى إنسانى كريم لائق بكرامة وادى النيل .

لقد قلنا فى كلمـة سابقة إن وزير الصحة الحالى يمكن ان يلقب "وزير تحسين الصحة القروية" وهو لقب عظيم ونقول فى هذه الكلمة ، ان وزير الشؤون الاجتماعية الحالى يمكن أن يلقب "وزير الملكيات الشعبية" وهو لقب عظيم. عندما يكتب تاريخ الاصلاح الاجتماعى لوادى النيل .

٢ — تنظيم التعاون

والحديث عن الملكيات الصغيرة يقودنا بطبيعته الى الحديث عن "التعاون" وقد ورد فى خطاب العرش عنه هذه الفقرة "وستقدم الحكومة مشروع قانون لإصلاح نظام التعاون" وهى فقرة وجيزة ولكنها وعد صريح بمشروع محدد ، وهذا موضع استبشارنا بسرعة الانجاز. ان الحديث عن مزايا التعاون حديث مكرر معاد ، فيجب أن ينحصر الحديث عن "تنظيم التعاون ووسائل نشره فى البلاد" .

فى مصر نحو ٨٠٠ جمعيـة تعاونية فى مختلف أنحاء البـلاد ، عدد أعضائها نحـو ١٠٠,٠٠٠ عضو ورأس مالها المدفوع ٢٢٠,٠٠٠ جنيه ، ومالها الاحتياطى ٦٠,٠٠٠ جنيه وقيمة معاملاتها السنوية مليون جنيه (هذه المعلومات مستقاة من كلمة للدكتور رشاد بك مدير التعاون) .

وقد وصلنا إلى هـذه الأرقام بعـد مضى أكثر من ثلاثين عاما على بدء حركة التعاون فى مصر ، فى شعب يبلغ تعداده أكثر من ستة عشر مليونا من الأنفس .

وهى أرقام تتبين ضآلتها حين ننظر إلى بلاد كالدانمارك مثلا فنطلع على الأرقام التالية : يبلـغ عدد من يملكون أرضـا زراعية فى الدانمـاركة ٢٠٥ آلاف منهم ١٩٠ ألفا أعضاء فى جماعات تعاونية وذلك غير الأعضاء فى الجمـاعات التعاونية للصناع وجمعيـات التعاون المنزلى فى شعب تعـداده ٣,٨٠٠,٠٠٠ (هـذه المعلومات مستقاة من كتاب الدانمـاركة للأستاذ أمير بقطر) .

وهناك فارق أساسى بين جمعيات التعاون فى مصر ونظائرها فى البلاد الأخرى، فالملاحظ أن معظم المنتفعين انتفاعا حقيقيا بجمعيات التعاون فى مصر هم من كبار الملاك ، وحسبك أن تراجع حالة الجمعيات القروية حتى ترى أن عمدة القرية ومشايخها وكبار ملاكها هم الأعضاء فيها ، وقل أن يوجد بينهم مزارع صغير ، مع أن صغار الزراع هم المحتاجون إلى الخدمات التعاونية وهم الذين يؤلفون نظام التعاون فى بلاد كالدانمرك مثلا .

ومرد هذا العيب إلى الجهل ، وإلى النظام " البيروقراطى " الذى يجعل كبار الأثرياء هم المقربين من كل منشأة يتدخل فيها النفوذ الرسمى . وعلاج هذا النقص يجب أن يكون فى مقدمة المسائل التى يعالجها التنظيم الجديد .

ومما يلاحظ أن العناية الكبرى كانت موجهة فى الماضى إلى التعاون الزراعى وحده بينما التعاون المنزلى لا يقل أثرا عن التعاون الزراعى . وقد أظهرت الظروف الاستثنائية الحاضرة مقدار حاجتنا إلى ذلك النوع من التعاون فى مكافحة الغلاء المصطنع . ولو أنه كان سائدا بيننا من قبل لما استطاع تجار السوق السوداء أن يتحكموا هذا التحكم فى المستهلكين وفى المنتجين أيضا . فنحن نشاهد المنتجات المحلية يشتريها هؤلاء التجار بثمن منخفض كثيرا إذا قيس إلى ثمن بيعها للمستهلكين ؛ فيحرمون المنتج الصغير من معظم الأرباح ، ثم يبيعونها بأثمان فادحة ، فيثرون ثراء فاحشا على حساب المستهلك ، ويخرجون من المعركة بنصيب الأسد على حساب المنتجين والمستهلكين على السواء .

فمشروع تنظيم التعاون يأتى الآن فى وقته المناسب ، وعلاوة على أنه مشروع ضرورى للمستقبل البعيد ، فهو مشروع الظرف الحاضر الذى يتطلب السرعة والاستعجال .

إن بلادا صغيرة كالدانمارك أصبحت بفضل حركة التعاون تملك من الثروة الحيوانية ٣,٥٠٠,٠٠٠ رأس من الماشية و ٥٠٠,٠٠٠ حصان و ٢٠,٠٠٠ رأس من الأغنام و ٥,٠٠٠,٠٠٠ من الخنازير و ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ دجاجة وأصبحت صادراتها قبل الحرب تقدر بحوالى ٥٢,٠٠٠,٠٠٠ مليون من الجنيهات (هذه المعلومات مستقاة من كتاب مشاهدات سائح فى دول الشمال للأستاذ جميل خاتكى) .

فمصر خليقة أن تجنى ثمار التعاون إذا وفقنا إلى تنظيمه فيها تنظيما جديدا خاصا وهيأنا الوسائل لنجاح هذه الحركة الطيبة . ونعتقد أن فى مقدمة هذه الوسائل إنشاء بنك مركزى للتعاون. فقد قام بنك التسليف الزراعى بخدمات كبيرة للحركة التعاونية ولكنه بطبيعة وظيفته غير مخصص لها، فاذا أمكن إنشاء بنك خاص فالفائدة محققة والكسب مضمون إن شاء الله.

٣ — تشريعات العمال

يبلغ عدد العمال — غير الزراعيين — فى مصر الآن أكثر من مليون ، وهـذا العدد فى تصاعد مستمر نتيجة للتحول التدريجى فى اتجاه البلاد من الزراعة إلى الصناعة تبعا لمقـدار اليقظة القومية والاقتصادية ، وتحت ضغط الظروف العامة والمحلية .

فإذا فرضنا أن كل عامل من هذا المليون يعول ثلاثة فقط — وهو الحد الأدنى — كانت النتيجة أن أربعة ملايين من السكان البالغ تعدادهم ستة عشر مليونا — يعيشون على الصناعة وهو ما يعادل ربع المصريين .

فتنظيم علاقة العمال بأصحاب العمل ، معناه تنظيم ربع السكان من ناحية العدد ، ووضع أسس ثابتة للصناعة القومية التى تعول هذا العـدد الضخم : وتكون قسما كبيرا من الثروة العامة . ومن هنا كانت أهمية تشريعات العمل التى أمضيت فى العام المـاضى والتى وعد بها خطاب العرش فى هذا العام حين يقول :

"ولقد أقررتم قانون نقابات العمال وقانون التأمين الإجبارى ضد إصابات العمل تلافيا لنقص ظاهر فى كياننا الاقتصادى .

"وستقدم حكومتى لحضراتكم فى هذه الدورة مشروع قانون عقد العمل المشترك ، ومشروع التأمين الاجتماعى ضد العجز والمرض والشيخوخة . والمأمول أنه باستكمال حلقة هذه التشريعات تتوطد علاقة العامل بصاحب العمل على قواعد تؤدى إلى الاستقرار والسلام".

هـذه المشروعات الأربعة كما يقول خطاب العرش هى " استكمال لحلقة التشريعات العمالية " التى ظلت معطلة فى مصر ومتأخرة ، على الرغم من ازدياد عدد العمال واتساع نطاق الصناعة .

وتاريخ التشريع العمالى فى مصر كان يسير ببطء شديد ، حتى أسرعت خطاه فى المدة الأخيرة القصيرة ، ففى ٩ يناير سنة ١٨٩٠ صدر مرسوم بإلغاء نظام طوائف المهن وإعلان حرية العمل وحق الاحتراف للجميع فى مختلف الأعمال والحرف .

ثم ركدت حركة التشريع العمالى من هذا التاريخ إلى سنة ١٩٠٩ حيث صدر قانون تشغيل الأحداث فكان أول القوانين المنظمة للعمل فى العصر الحديث .

ومضت فترة ركود أخرى طويلة الى سنة ١٩٣٣ حيث صدر قانون تشغيل الأحداث المعدل وقانون تشغيل النساء .

وفى سنة ١٩٣٥ صدر قانون تحديد ساعات العمل فى بعض الصناعات ، ثم قانون إصابات العمل سنة ١٩٣٦ [١] .

وفى سنة ١٩٤١ صدر قانون تأليف النقابات وقانون التأمين الاجبارى ضد إصابات العمل . وهما من أهم القوانين ذات الأثر الحاسم فى توجيه التشريع العمالى إلى التركيز النهائى والتنظيم الثابت. وحين يمضى المشروعان الجديدان اللذان وعد بهما خطاب العرش تكمل حلقة التشريع ، ولا يتبقى إلا التحسين والتعديل حسب نتيجة التجارب وتقدم التشريع العمالى فى العالم ، الذى تخلفنا عنه فى هذا الصدد ربع قرن من الزمان على أقل تقدير ، حتى وثبتنا الوثبة الأخيرة منذ عام .

فأما قانون عقد العمل المشترك فهو العقد الحاصل بين صاحب العمل و بين جماعة من العمال على احترام شروط معينة فى عقود العمل الفردية وعلى شروط معينة فى نظام العمل فى المصنع كتحديد ساعات العمل أو تحديد فترة المهلة اللازمة عند الفصل أو الاستقالة وهكذا .

فهو من هذه الناحية تنظيم للعمل بقدر ما هو ضمان للعمال ومانع من المنازعات التى تخل بسير العمل ، ومن هنا كان ما جاء فى خطاب العرش من أن هذه التشريعات "توطد علاقة العامل بصاحب العمل" صحيحا ودقيقا فى معناه .

وأما قانون التأمين الاجتماعى ضد العجز والمرض والشيخوخة فهو فى اعتقادنا قطع لنصف المرحلة فى علاج التسول والتشرد والبغاء و جرائم الأحداث .

وقد يبدو هذا القول غريبا ، ولكن نظرة واحدة إلى الأسباب الأولى فى إيجاد المتسولين والمتشردين (الذين هم منبع البغاء والجريمة) ترينا أن هذا التشريع سيقضى على معظم هذه الأسباب .

فمن هم الأولون ؟

إن معظمهم من أولئك العمال الذين عجزوا عن العمل لسبب من هذه الأسباب ، ونالوا مكافأة تافهة أو لم ينالوا مكافأة أصلا ، ثم أصبحوا بعد فترة طويلة أو قصيرة ولا مورد لهم ولا مدخر عندهم ، فخرجوا الى الطرقات يتسولون ويعرضون على الأنظار عاهاتهم استدرارا للرحمة . ذلك المنظر المؤذى للكرامة الانسانية والذى نراه فى كل مكان .

---

(١) استعنا فى هذه البيانات بكتاب الأستاذ على العريف "شرح تشريع العمل فى مصر" وبتقرير مصلحة العمل عن سنة ١٩٣٩ .

ومن هم الآخرون ؟

إنهم أبناء وبنات أولئك العمال العاجزين عن العمل ، لم يجدوا لهم مرتزقا بعد عائليهم ولم يجدوا لهم مدخرا يكفيهم ، فناموا على وجوههم فى الطرقات صفرا غبرا تأكل الأجساد غائرى العيون .

فقانون التأمين الاجتماعى ضمان لهؤلاء وهؤلاء ، وسيكفل حين يطبق نقص نصف عدد هؤلاء الذين تنفق عليهم الأمة والدولة ، أو تنفقان بسببهم ألوفا كثيرة من الجنيهات كل عام ، فى الملاجىء والاصلاحيات والمحاكم . وتنفقان من الثروة الخلقية أضعاف هذه الألوف من الجنيهات .

وقد أخذت جميع الدول بتوصيات مكتب العمل بعصبة الامم فى سن هذه القوانين وكنا نريد هنا أن نعرض أمثلة من هذه التشريعات فى بعض الأمم ، لولا أن الظروف المحلية هى التى تتحكم فى صياغة تشريع كل أمة .

وفى وزارة الشؤون الاجتماعية مصلحة للعمل ستستعرض هذه التشريعات جميعا بلا شك وتختار منها مايصلح لمصر فى درجة تقدمها الصناعى الحالية مسترشدة بالأرقام والإحصاءات التى لابد منها عن حالة المصانع وحالة العمال فى البلاد ، ومقدرة كل منها على المساهمة فى هذه التأمينات ، ولذلك آثرنا ألا ندخل فى هذه التفصيلات .

٤ — تعديل لائحة السجون

من رأى مثلما رأينا وجه وزير الشؤون الاجتماعية الأستاذ "عبد الحميد بك عبد الحق" وهو يوقع أوامر الجلد على المسجونين الواردة إليه من مصلحة السجون ، ورأى علامات التقزز والاشفاق مرتسمة واضحة . ومن سمع مثلما سمعنا ملاحظات هذا الوزير على مشاهداته فى زياراته للسجون المصرية لم يكن يشك مطلقا فى أنه سيعمل جاهدا على تعديل لائحة السجون .

إنه ليذكر كيف ثارت نفسه حينما زار إصلاحية الرجال ، فوجد رجلا تبلغ سنه حوالى الستين تمنة معلقا فى الساقية كالثور ، وكيف صاح فى السجانة : " حل الراجل ده يازبانية جهنم انت وهوه " وإنه ليذكر أنه رأى فى السجن خبزا تعافه البهائم فاشمأزت نفسه وأمر بأنه لا يريد أن يرى مثل هذا الخبز مرة أخرى .

وإنه ليتحدث مع "جريدة الجورنال ديجبت" فلا ينسى هذه المشاهد المؤلمة فيقول :

"إن فى السجون أنظمة وضعت حينما كان ينظر الى المجرم والجريمة نظرا يختلف عن نظر العلم الحديث . ولذلك رأيت أن ملايين الجنيهات التى تنفق على المحاكم والنيابة والبوليس والجهود التى تبذل فيها يجب أن تؤدى الى نتائج مفيدة للبلاد وذلك بإصلاح السجون .

فأصدرت الأوامر بالاسراع فى إصلاح العيوب الظاهرة وأبطلت عقوبة الجلد إلا فى المخالفات الخطيرة وأمرت بتبسيط الإجراءات التى تتخذ لإطلاق سراح المسجونين الذين يصابون بأمراض غير قابلة للشفاء وأمرت كذلك بإبطال نظام من بقايا العصور الوسطى وهو تعليق المذنب فى ساقية لإدارتها كما لو كان حيوانا وأمرت فوق ذلك بأن يكون الخبز الذى يوزع على المسجونين خبزا لائقا بهم كبشر" .

ونعتقد أن من أهم ما سيتناوله الاصلاح "تصنيف" المجرمين وتنويع السجون والقوانين التى يعاملون بها ، فقد ظل المسجونون السياسيون يلاقون الأمرين بسجنهم فى السجون العادية ، وظلوا يفرض عليهم ما يفرض على المجرمين العاديين ، ويختلطون بهم فى أشد الظروف قسوة وأكثرها إيذاء لأبدانهم ولنفوسهم ، ثم ظل المجرمون المختلفو النفسيات والأخلاق يحشرون فى مكان واحد فيعدى بعضهم بعضا ، بل ظل الأحداث تضيق بهم الاصلاحيات فيوضعون فى سجون الرجال ، ويقع ما يقع من جرائم خلقية بسبب هذا الاختلاط ، ثم ظلت قسوة المعاملة والتسوية بين مجرم الظروف ومجرم الفطرة ، تفسد نفوس المسجونين وتحيلهم مجرمين عائدين .

فتغيير هذه الحالة من الأساس هو عمل اللجنة التى ألفت لتعديل اللوائح القديمة ، والواقع أن هذه اللوائح لا تحتاج لمجرد التعديل ، بل إلى كامل التبديل فقد قامت على أسس عقلية لم تعد صالحة للحياة فى العصر الحديث بعد تقدم الدراسات النفسية والاجتماعية ، وبعد التبدل الأساسى فى النظرة إلى الجريمة ، وفى الغرض من السجون .

٥ — التغذية العامة

ورد فى خطاب العرش عند الكلام عن الخدمة الاجتماعية ، " ولما كان فى شباب الجامعة الأزهرية وفؤاد الأول وفاروق الأول ؛ كثير من الغرباء الذين يعيشون بعيدا عن أهليهم وبلادهم ، رأت حكومتى تيسيرا عليهم وتوفيرا لأوقاتهم أن تنشئ مطاعم خاصة بهم لترويدهم بطعام صحى مناسب" .

وورد فيه عند الكلام عن التعليم الشعبى وتغذية التلاميذ : " وقد أخذت حكومتى فى تنفيذ ما وعدت به من العناية بتلاميذ التعليم الأولى من الناحية الصحية ، فاستصدرت قانونا يفرض تغذية التلاميذ ، وقد بدأت بالفعل فى تنفيذه فى عدة جهات متفرقة وستمضى فى هذا التنفيذ حتى يشمل المدارس الأولية فى المملكة كلها " .

وورد فيه بمناسبة الحديث عن أعمال البر : " وقد رأت حكومتى أن تتوسع فى إنشاء المطاعم الشعبية ليعم نفعها أكبر عدد ممكن من الفقراء" .

ونحن نميل إلى اعتبار هذه المشروعات الثلاثة فروعا فى " التغذية العامة " التى توجب ظروف الحرب والغلاء أن تعنى بها الدولة أشد العناية ، ونعد هذه الوعود القاطعة فى خطاب العرش فألا حسنا ودليلا على الاهتمام بهذه المسألة الهامة .

وأما الطلاب والتلاميذ ، فهم جديرون بعناية الدولة كى تهيئ للدراسة التى تقتضى منهم مجهودا جسميا وفكريا لا بد له من التعويض بالغذاء ، وقد ثبت فى حالات كثيرة أنهم لا يستطيعون الاستفادة من الدروس بسبب الإعياء الناشىء من قلة التغذية ، فوق ما يكلفهم التماس الطعام من وقت وجهد .

وفى انجلترا يوجد نحو ٤,٠٠٠,٠٠٠ تلميذ يتناولون الطعام كاملا بالمجان ، ويوجد نحو ٣,٠٠٠,٠٠٠ من التلاميذ يتناولون ثلث رطل من اللبن يوميا بالمجان كذلك ، ويجب أن يلاحظ أن مستوى الدخل الفردى فى انجلترا نحو ثلاثة أضعاف المستوى فى مصر ، فآباء التلاميذ هناك أقدر على تغذيتهم من الآباء المصريين ، ومع هذا تفكر الدولة فى مضاعفة العدد الذى تقدم له الطعام بسبب ظروف الحرب وغلاء المواد الغذائية (وإن لم تبلغ أسعارها ما بلغته فى مصر بدليل الأرقام القياسية للأسعار هنا وهناك) .

وأما العمال فكلنا يعرف فى مصر نوع غذائهم ويعرف الجهد البدنى المطلوب منهم ، وهناك طبقات منهم ومن سواهم لا يزيد دخلهم فى الشهر على جنيه ونصف الجنيه ، يعولون به نفوسهم وأهليهم ، فيستحيل عليهم فى هذه الحالة أن يحصلوا على الغذاء الضرورى .

فهؤلاء سيجدون فى المطاعم الشعبية خير عون لهم على توفير اللقمة المغذية بثمن مستطاع .

ويجب أن نذكر أن العمال فى انجلترا تعرف لهم جراية بالبطاقات أكبر من جراية بقية طبقات الشعب ، ومع ذلك يجد من يشتغلون منهم فى الصناعات الثقيلة وجبة ساخنة تقدم لهم على أبواب المصانع وبداخل المناجم بالمجان عن طريق جماعات الخدمة الاجتماعية المنتشرة فى البلاد ، الغنية بالموارد والتبرعات .

فالدولة المصرية بهذه الاجراءات فى سبيل التغذية العامة ، إنما تلبى الداعى الانسانى والواجب الوطنى ، والعرف الاستثنائى على السواء .

٦ — ضريبة الخدمة الاجتماعية

وحين ينظر الانسان فى المشروعات الاجتماعية التى تهم بها وزارة الشؤون الاجتماعية ما ذكرنا منها هنا وما نوهنا به فى أعداد سابقة ، يجد أن مواردها الحالية يستحيل أن تنهض بهذا كله ، وإذا استطاعت أن تنهض به مرة فإنها لا تضمن له الدوام والاستقرار .

لهذا نستقبل ما جاء فى خطاب العرش عن "تدبير مورد دائم للبر بالفقراء أسوة بما جرى به العمل فى الأمم المتمدينة" بالتداول والترحيب ، فما يصح أن تبقى أعمال البر رهينة بموارد متقطعة لا أساس لها فى التشريع ، مع ملاحظة أن روح البر لاتزال ضعيفة فى النفوس .

ففى الدانمارك مثلا تفرض الحكومة ضرائب لتحسين الشؤون الاجتماعية تبلغ نحو ١٩ ٪ من الإيرادات المتوسطة ، ومع هذا يوجد من يتبرعون بمبالغ كبيرة بعد أداء هذه الضريبة العالية .

وإذا تحدثنا عن ضرائب البر فى الأمم المتمدينة فيجب ألا ننسى أن الإسلام قد فرض هذه الضريبة قبل أربعة عشر قرنا ، ونظم مواردها ومصارفها تنظيما كاملا .

وإذا سمعنا أن المذاهب الاجتماعية الحديثة تنكر الاحسان المباشر من الغنى إلى الفقير لما فيه من غضاضة على الفقير ، ومن زيادة فى كبرياء الغنى ، فيجب أن نذكر أن الإسلام قبل أربعة عشر قرنا قد التفت هذه الالتفاتة بجعل الزكاة تجبى إلى بيت المال ثم تنفقها الدولة على المحتاجين إليها فى كرامة وتجمل ، ثم جعلها حقا للفقراء فى أموال الأغنياء لا تفضلا من هؤلاء على هؤلاء . قال : (وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) . ثم صورها للأغنياء فى صور التفضل عليهم بأخذها لا التفضل منهم بأدائها . قال : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) .

فبقى علينا إلا أن نرجع الى قانوننا السماوى نستوحيه فرض هذه الضريبة — التى جرى العمل بها فى الأمم المتمدينة — هذا القانون الذى تضمنه الاسلام ، كما تضمنته اليهودية حين فرضت العشر كاملا — لا ربع العشر — والمسيحية حينما جعلت التجرد من المال كله شرطا لدخول الجنة .

فإذا عز على قوم أن تسمى هذه الضريبة " فريضة الزكاة " وإذا شاء قوم أن يقفوا دونها بسفسطائيات قانونية كالتى نقرؤها فى بعض الصحف ، فلتفرض تحت أى عنوان لتؤدى غايتها من الخدمة الاجتماعية وليقوم البر على موارد ثابتة باسم القانون .

٧ — مشروعات أخرى

وقد تضمن خطاب العرش مشروعات أخرى كنشر الرياضة البدنية وزيادة أجور العمال ، وتنظيم أعمال الجمعيات والهيئات الخيرية بما يكفل المصلحة العامة ، وإلغاء البغاء وإنشاء الملاجىء اللازمة لرعاية ضحاياه ... ... وهى مشروعات تحدثنا عنها فى هذه المجلة فى أعداد سابقة ، فنكتفى بهذه الاشارة إليها مستبشرين بهذا الاتجاه الاجتماعى الشامل لمختلف الخدمات ، راجين أن يسلك طريق التنفيذ بنفس الهمة التى سلك بها طريق التشريع ، والله المستعان .

الطلاق

لحضرة صاحب السعادة محمد على علوبه باشا

في هـذا البحث القيم الذى اقتطفناه من كتاب " مبادئ في السياسة المصرية " الذى أخرجه أخيرا حضرة صاحب السعادة محمد على علوبه باشا نرى سعادته يعرض لإساءة استعمال حق الطلاق ، ويراه من الأدواء الاجتماعية الخطيرة ، وأنه وصمة خلقية يجب أن تطهر بلادنا منها . ثم يقترح سعادته على ولاة الأمور أن يحيطوا الأسرة بسياج متين من التشريعات يحميها من خطر الطلاق ، وما يجره فى إباحته المطلقة من أضرار وتفكك وانحلال

المحرر

إن كثرة الطلاق فى أمة ، أزمة أخلاقية لا بد من السعى إلى تلافيها . وكثيرا ما كان الطلاق فى بلادنا سببا فى خصومات كثيرة ، وقضايا متنوعة ، وتضحيات متكررة ، شهدتها المحاكم على اختلاف أنواعها . فهل من وسيلة للحد من سلطة الزوج إذا أساء استعمال هذا الحق فى الطلاق ؟ وقد أسرف بعض الناس فى الطلاق إلى درجة ممقوتة كدنا نعتقد أن بعضهم يرى أن الزواج متعة وقتية ، أو عرض وقتى يغير فيه ويبدل ، كما يشاء له الهوى دون رقيب أو حسيب .

إنها ظاهرة اجتماعية خطيرة ، ووصمة خلقية نأبى أن تكون فى بلادنا على مظاهرها القائمة الآن . وقد يكون من أسباب تلافى هذا المرض الاجتماعى العناية بالرعاية والتربية وحسن اختيار الزوجين بعضهما لبعض ، اختيارا يمليه العقل قبل أن تمليه العاطفة الهوجاء . وقد يكون هذا المسعى مفيدا فى بعض الوجوه ، ولكن الدعاية والتربية بطيئتان ، وقد لا تؤديان إلى الغرض الذى يرمى اليه العقلاء من الحد فى حق الطلاق ، مع علمنا بأن أبغض الحلال إلى الله الطلاق .

وإنى أرى بعد ما رأيت من أمر فظائع الطلاق ، وما جرته على الأسر الكثيرة من أضرار مادية وأدبية ، من تفكك وانحلال ، وعلى الأبناء من إهمال فى أمر التعليم والتربية أن أعرض على ولاة أمورنا فكرتين ، عليهما ينالان من العناية ماهما جديرتان به :

(أولاهما) أنه يجب أن يكون للزوجة — بحكم القانون — الحق فى أن تطالب مطلقها بتعويض إذا ارتكب الطلاق بلا سبب مقبول . ويجب أن يكون التعويض كافيا رادعا لهؤلاء الذين يسرفون فى أمر الطلاق ، ويتركون زوجاتهم فى الفقر والفاقة بعد أن نالوا منهن حظهم ، وامتصوا زهرة شبابهن ونضارته .

إن أحكام المحاكم قد جرت إلى الآن على رفض الحكم بتعويض الزوجة ؛ اعتمادا على أن الطلاق حق شرعى للزوج يتصرف فيه كما يشاء ، ويوقعه فى أى وقت شاء . وقد تكون الزوجة أمضت شبابها وأفنته فى خدمة زوجها ، وكونت مستقبلها على حياتها الزوجية . فكيف نسمح عقلا ودينا وقانونا بهذا الوضع ، الذى يعبث بحقوق الزوجة وقدسيتها ؟ ، ويجعل الزوجة عرضة للفقر والفاقة والمهانة ، دون أن يفكر الشارع فى أمرها ، ودون أن يصونها من السقوط فى مهاوى الرذيلة بحكم الضرورة والحاجة .

أخذ القضاء المدنى بنظرية قويمة اسمها "إساءة استعمال الحق" . ويعتقد الكثير أن هذه النظرية معروفة فى الشرع الإسلامى ، ويقول نبينا الكريم " أبغض الحلال إلى الله الطلاق " وقام المؤلفون فى العصور الحاضرة منادين بأن إساءة استعمال الحق فى أى تعاقد تجعله منافيا للنظام الاجتماعى ؛ وإن اساءة استعمال أى حق ليست سوى نزاع بين الحق والأخلاق ؛ فوجب أن تسود الأخلاق متى كان الحق يتنافى مع الفضيلة وحسن الخلق . فإذا كان الأمر كذلك ، وكانت شريعتنا لا تأباه ، أفلا يجب صيانة للزوجات من هذا العسف الذى يستعمله الأزواج أن يكون فى بلادنا تشريع يسمح للمحاكم بالحكم على الزوج المطلق بتعويضات كفيلة بصيانة مستقبل زوجته وعرضها ، متى ثبت لهذه المحاكم أن الزوج قد أساء استعمال حقه فى الطلاق إساءة أدت إلى ايقاع الضرر بالزوجة ، سواء أكان الضرر ماديا أم أدبيا ؟

(والأخرى) أن أمر الطلاق هذا يجرنا إلى الكلام فى نقطة كان لها أثرها فى المحاكم وفى الرأى العام المصرى ، تلك هى التى يتفق فيها الزوج مع زوجته على أن يطلقها نظير أجر معلوم ، فهل هذا العمل شريف يرضى به ديننا القويم ؟

إن لمحاكمنا الشرعية كل العذر فيما حكمت ؛ لأنها إنما حكمت وتحكم بالرأى الراجح فى المذاهب ، وبما ارتآه فقهاؤنا الأقدمون ومن أتى بعدهم ، وبراءة ديننا الحنيف من كل شك فى عدله ونصفته وبره ، أعرض عليك أمر ديننا ، وكيف تحول عن قصده إلى ماتراه الآن من العمل بهذا الرأى ، الذى يمكن به ابتلاع ثروة كل زوجة تريد الخلاص من زوجها ، أو يريد زوجها الخلاص منها .

ديننا صريح فى حالة الزوج إذا أراد طلاق امرأته سواء كرهها ويريد طلاقها ، أو أراد أن يتزوج بغيرها ؛ فقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم فى أمر هذا الزوج الناشز :

(وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا . وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا) .

وقد أجمع الفقهاء والمفسرون على أن دين الله هذا صريح فى أن الزوج إذا أراد استبدال أخرى بزوجته ، لا يصح له أن يأخذ من هذه التى اتفق معها على الطلاق أى شىء ، ولو كان قد أعطاها قنطارا من الذهب . وهذا أسمى ما وصل إليه العدل بين الناس ، ولا يمكن لأية شريعة أخرى أن تجد حلا أعدل منه .

أما إذا كانت الزوجة هى الناشز ، أو كان الزوجان ناشزين ، فقد أجمع الفقهاء على أن أساس الحكم فى هذه المسألة راجع إلى النص الكريم الآتى :

(ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) .

أنظر كيف نهى الله سبحانه وتعالى فى هذه الحالة عن أن يأخذ الزوج أكثر مما دفعه إلى زوجته من الصداق ، فان كلمة الافتداء التى أتت فى هذه الآية الشريفة ، أتت مقيدة بما قبلها حيث ذكر الله سبحانه وتعالى : (مما آتيتموهن) . ولم يقل سبحانه : ولا يحل لكم أن تأخذوا منهن شيئا ؛ فالتعبير الكريم بقوله : (مما آتيتموهن) صريح فى أن الافتداء يكون

ضمن ما قدمه الزوج لزوجته لا أكثر . وقد أتت هذه الآية الشريفة بتعبيرات شديدة هى : (ولا يحل لكم) (لمك حدود الله فلا تعتدوها) . (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) . كل هذا واضح الدلالة فى تحريم أخذ شيء من الزوجة الناشز عند طلاقها أكثر مما دفعه الزوج اليها . وإن جميع المفسرين وأغلبية الفقهاء قد فهموا كتاب الله على هذا النحو الذى فهمناه . وقد تايد هذا الذى نفهمه ويفهمه الناس جميعا من كتاب الله تعالى بأول حادثة فى الخلع ، وقد حدثت أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ذلك أنه روى عن نبينا عليه السلام أن " جميلة بنت سلول " كانت زوجا " لثابت ابن قيس " فجاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت : "لا أعتب على ثابت فى دين ولا خلق لكنى أخشى الكفر فى الاسلام لشدة بغضى إياه" . فقال عليه السلام : " أتردين عليه حديقته التى أصدقك " ؟ " قالت : " نعم . وزيادة " . فقال صلى الله عليه وسلم : "أما الزيادة فلا ، ولكن حديقته " . فاخذها وخلى سبيلها . وهذا أول خلع فى الإسلام .

فاذا كان الامر كذلك فكيف تحكم محاكمنا الشرعية بصحة عوض الطلاق أو المبلغ المتعاقد عليه فيه مهما بلغت قيمته ، حتى لو أتى على كل ثروة الزوجة ، مع براءة الزوج من مؤخر الصداق ومن نفقة العدة ؟ .

أتى كل هذا من أن فريقا من الأئمة والفقهاء قال بحرمة أخذ شيء إذا كان الزوج هو الناشز ، وبحرمة مازاد عما قدمه الزوج من الصداق إذا كانت الزوجة هى الناشز اعتمادا على ما سبق لنا ذكره من قول الله تعالى فى كتابه الكريم ، ومن سنة رسوله فيما حكم به ثم تدرج بعض الفقهاء واعتبروا أخذ الزائد مكروها ، ثم تدرجوا الى اعتباره خلاف الأولى ، وانتهى الرأى الراجح إلى اعتبار أحد الزائد مخالفة دينية ، لكنهم قالوا بضرورة احترام التعاقد وارادة المتعاقدين ، وأن الزوج إذا أخذ أكثر مما يستحقه فانما يكون قد امتلكه "بسبب خبيث" وبعبارة أخرى أصبح الرأى الراجح أن أخذ الزوج ما لا يستحقه محظور ديانة ، لكن القضاء يحكم به احتراما للتعاقد ، ويكون أمر الزوج فى الآخرة بينه وبين ربه .

أمام هذه الحالة التى يقف الفقهاء أنفسهم أنها لا ترضى الله ورسوله ، وأن سبب امتلاك ما لا يستحقه الزوج فى أمر الطلاق " سبب خبيث " الا يجوز لنا بل يجب علينا أن ننادى بضرورة وضع تشريع يحقق الرأى المرجوح ، ويبطل أى عقد قام به زوج طلق زوجته ، أخذ عليها ميثاقا بالتزامها بعوض كبير أو صغير إذا كان هو الناشز ، وإبطال كل مازاد من التعاقد على ما أداه الزوج زوجته من صداق ، إذا كانت الزوجة هى الناشز ، متفقين فى هذا مع مايسميه قانوننا المدنى من أن سبب هذا التعاقد غير مشروع لمخالفته النظام والآداب العامة ، واعتمادا على ماسماه الفقهاء أنفسهم فى القرون الماضية من أن سببه كان

خبيثا ، والمعنى فى التعبيرين واحد . فنحن هنا متفقون مع الفقهاء الأقدمين على أن سبب الملكية الجائر هو سبب خبيث، ومتفقون مع القانون المدنى على أن سبب هذا التعاقد الظالم هو سبب غير مشروع لمخالفته النظام والآداب العامة .

إن ما ارتآه ديننا فى هـذه المسألة فى كتاب الله الكريم وسـنة رسوله هو أرقى ما يصل اليه التمدن والعدل فى أى عصر من العصور وأتى عدل أقوم وأقوى من ذلك العـدل الذى يقرر أن الزوج إذا كان هو الناشز ، وهو الذى يرغب فى الطلاق ، لا يصح له أن يأخذ من زوجته شيئا بعد أن أضاع عليها شبابها ، وزهرة حياتها؟ ، وأى عدل أرقى وأقوم من حكم الله تعالى فى أنه لا يجوز فى حالة نشوز زوجته، ورغبتها فى الطلاق — لا يجوز له أن يأخذ أكثر مما آتاها اياها من الصداق ، حتى يرجع له ما دفعه ، وبه يمكن أن يتزوج بزوجة أخرى .

فأى عدل أرقى من هذا كله؟ ، ونحن لا نريد إلا أن يفهم الناس عدل الله وسنة رسوله ، لا أن يفهم الناس خطأ أن ديننا يجيز للزوج أن يقتل امرأته بهذا الجور والظلم ، وأن يستسيغ أكل أموالها بالباطل ولو كانت كل ثروتها ، ولو كان هو الناشز الذى يريد الطلاق لا يجوز فى شرعة العقل والعدل والدين أن يرى النـاس فى محاكمنا أن زوجا أراد أن يتخلص من زوجته التى يكرهها ، أو هى أرادت أن تتخلص منه لأنها تكرهه ، وقد ابتز كثيرا من مالها فى أثناء الزواج ، فيأخذ على زوجته عهدا بأن تدفع اليه أجر الطلاق مبلغا قد كان فى بعض الحالات خمسـة وأربعين ألفا من الجنيهات ، والبسطاء الذين لا يفهمون كتاب الله وسنة رسوله قد يظنون خطأ بناء على الرأى الراجح من الفقهاء أن هـذا الظلم هو إرادة الله ! وحاشا أن نضع ديننا هذا الوضع . فان حكم ديننا ظاهر الوضوح بما قدمنا من كتاب الله ورسوله . ويجب أن يفهم الناس أن الزواج فى الاسلام لم يكن فى أى وقت من الأوقات عملية تجارية، وانما هو مفهوم على أسمى وجه عرفه الناس فى كل بلد وفى كل جيل، فلقد قال الله تعالى فى شأنه :

(وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) .

الزواج رابطة زوجية مقدسـة ، حتى أوجب ديننا فيه الكفاءة بين الزوجين ، وجعل للأقربين حق طلب الفرقة لعدم كفاءة الزوج ، كما وضع ديننا القويم محرمات فى الزواج كحرمة زواج الإبنة ، والأخت ، والأم ، و بنت الأخ ، و بنت الأخت ، محافظة على الآداب السامية وعلى النسل . الزواج فى الإسلام رابطة مقدسة ، وقد بولغ فى تكريمه حتى أن الفقهاء رأوا أنه يستحب أن يعقد فى المسجد لأنه عبـادة . فكيف يجاز بعد هذا كله أن نسكت على بعض المحرمات الأدبية والدينية ؟ ، ونتركها تستمر تحت ستار الدين تخر فى نظامنا الاجتماعى ، وآدابنا العامة إلى هذه الدرجة المقوتة .

محمد على علويه

أموال أسبوع البر

تنفق فى خير الوجوه

منذ أربعة أشهر كتبنا فى هذه المجلة " على هامش أسبوع البر " كلمة بعنوان "الخدمة الاجتماعية لا تزال بكرا فى كل ميدان " ومما جاء فى مقدمة هذا المقال إذ ذاك .

" خطر لى بعد ما علمت أن مجموع التبرعات قد وصل الى نحو مائة ألف من الجنيهات أن أفكر فى أهم مشروع يمكن أن توجه إليه هذه المبالغ . وما كدت أعرض المسألة هذا العرض حتى تفتحت أمام عينى ميادين الخدمة الاجتماعية فى هذا الوطن . وكلها لا يزال بكرا لم تمسسه يد أو مسته مسا خفيفا لا يعد شيئا بالقياس الى ما يجب أن يكون .

" أى مشروع هو أولى وأجدر من سواه ؟ مراكز رعاية الطفولة ؟ دور كفالة لأطفال المشردين ؟ مساعدة وإطعام الأسر الفقيرة ؟ تغذية العيال ؟ ... ... مرات من أمثال هذه العنوانات ؟ .

" كل مشروع هو أولى بالتقديم لأن الحاجة ماسة اليه فى الصميم ، وقد ... مقياس الموجود والمطلوب من هذه الخدمات الاجتماعية المنتشرة فى جميع البلاد المتحضرة ... ... ثم كتبنا كلمة عن كل من هذه المشروعات ... ...

فاليوم يسرنا أن يتفق الرأى على رصد أموال أسبوع البر للمشروعين اللذين ذكرناهما فى ذلك المقال : مراكز رعاية الطفل فى صورة من صورها ، ودور كفالة لأطفال المشردين فى وضع من أوضاعها .

أما مساعدة وإطعام الأسر الفقيرة فقد تكفل بها مشروع المكتب ... ، أما تغذية العيال فقد تكفلت بها مطاعم الشعب التى ورد ذكرها فى ... مع غيرها من المبرات .

لقد أصاب القائمون على أموال أسبوع البر موضع الحاجة الاجتماعية ... فى تخصيص هذه المبالغ للعناية بالطفولة ، فلقد أصبح من المبادئ المقررة أن لكل طفل الحق فى الحياة ، والحق فى العناية بشأنه .

و إن فى هذه الطفولة المهملة لكنوزا تبعثر ذات اليمين وذات الشمال بلا حساب ، وتستحيل منابع للجريمة والبغاء والمرض والشذوذ ، تورد للمجتمع : اللصوص والنشالين وممارسة الأعراس والبغايا و " البلطجية " والمرضى وذوى العاهات . إلى آخر القائمة التى يتعب المسؤلون أنفسهم فى اتقاء شرورها ويتعبون معهم الخزانة العامة ورجال الشرطة .

وقد قسم الأطفال فى المشروع الجديد ثلاث فئات :

الأولى : أولئك الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ست سنوات من أطفال العاملات فى المصانع أو الخادمات فى المنازل ممن يضطرهن العيش إلى إهمال أطفالهن ؛ فتقرر إنشاء سبع دور تسمى " دور كفالة الطفل " أربع منها فى القاهرة واثنتان فى الاسكندرية ، وواحدة فى بور سعيد ، على أن تعنى هذه الدور بالأطفال من النواحى الصحية والخلقية والثقافية وتقدم الغذاء إليهم و إلى أمهاتهم ، ثم تعيدهم فى المساء إلى الأمهات عند عودتهن من العمل ، كما تعنى بارشاد هؤلاء الأمهات إلى وسائل لتربية أطفالهن .

وقد كانت وزارة الصحة خصصت فى برنامجها لهذا العام مبلغا لإنشاء خمس من هذه الدور وكتبنا فى عدد فائت من هذه المجلة نحبذ هذا المشروع وندعو إلى أن تقوم هذه الدور بارشاد الأمهات إلى وسائل العناية الصحيحة بالأطفال ؛ فالآن نغتبط إذ نرى سبع دور جديدة تضاف إلى ما كانت وزارة الصحة قد قررته ، و إلى أن هذه الدور ستكون نماذج عملية للعناية الصحية والخلقية والعقلية بالزهرات الصغيرة التى كانت مهملة معرضة للذبول .

أما الفئة الثانية فتشمل الصبيان الذين تتراوح سنهم بين عشر سنوات وست عشرة سنة أو أكثر وهم الذين يؤلفون مأساة المشرد ، فهؤلاء تقرر أن تنشأ لهم سبعة أندية اجتماعية : أربعة فى القاهرة واثنان فى الاسكندرية وواحد فى طنطا .

وهذا أيضا تصرف حكيم ، وقد سارت محلات الرواد و جمعية الرابطة الاجتماعية ونادى كوبرى الليمون خطوات فى هذا الطريق ، كانت لها نتائجها الملموسة ؛ وقد حصلت هذه الجماعات على قسط من التجارب التى تفيد فى هذا الميدان .

وقد قلنا فى كلمة بعدد نوفمبر الماضى : إن مشكلة الطفولة المشردة فى حاجة إلى القيام بعملية إحصاء كبيرة لبيان عدد المشردين ، وأسباب شرودهم ، ووسائل علاجها . فهذه الأندية تستطيع أن تساهم فى هذا الإحصاء فى دائرتها ، فلا تكتفى بتهذيب هؤلاء الغلمان ومدهم بشىء من الكساء والغذاء ، بل تدرس ظروفهم دراسة دقيقة ، وتدرس بيئاتهم بعناية وتسجل ما يقع لها من التجارب ، لتكون نواة للإحصاء الكامل الذى أشرنا إليه ، والذى ينبغى تقديمه أمام كل مشروع شامل لعلاج الطفولة المشردة فى هذه البلاد .

وأما الفئة الثالثة : فتشمل الصبايا من سن العاشرة فأكثر . وقد قرر أن تقام لهن داران : إحداهما بالقاهرة والأخرى فى الاسكندرية لكفالتهن وإعدادهن ليكن زوجات صالحات ، والعمل على تزويجهن أو تيسير وسائل العيش لهن عن طريق المهن النسوية .

والذى يرى مثل هؤلاء البنات فى الطرقات ، ويعرف ما يتعرضن له من الخطر المحقق ويدرك المصير المحتوم الذى ينتظرهن ، لابد أن يقدر حكمة هذا المشروع .

وقد سبقنا إخواننا الأقباط إلى العناية بالبنات الفقيرات على اختلاف بيئاتهن وظروفهن فهناك عدة جمعيات تتعهدن بالرعاية والتهذيب والتثقيف ، وتهيئ لهن وسائل العيش الشريف ، وتبحث لهن عن الزيجات الموفقة ، وتساهم فى تجهيزهن عند الزواج ، وتظل ترعاهن فى بيوتهن رعاية الأهل مدى الحياة .

وهؤلاء منهن من يشتغلن بالتمريض ، ومنهن من يشتغلن مرضعات راقيات ومربيات ... إلى آخر الحرف النسوية فيؤدينها بأمانة وذمة ودقة ونظافة بسبب تربيتهن على مبادئ الدين وروح الفضيلة وعنصر الأخلاق .

فيجب أن نراعى فى الدارين المزمع إنشاؤهما بأموال مشروع البر أن نقيم تربية البنات على هذه الأسس ، وألا نكتفى بتعليمهن وتنظيفهن وإطعامهن ، بينما قلوبهن هواء !

* * *

وبعد فقد رأينا نتائج التبرعات فى موسم من المواسم ، فيجب ألا يكون الموسم الوحيد. إن فى البلد أغنياء ، وإن فى استطاعتهم أن يتبرعوا مرة ومرة دون أن يؤثر هذا على ميزانيتهم فى كثير أو قليل ؛ وإن روح الاحسان فى المصريين ليست نادرة ولكنها غير منظمة ، وهذا مثل من أمثلة تنظيم الاحسان وتوجيهه إلى الخدمات العصرية النافعة .

وإنا لننتظر أن يكون أسبوع البر موسما فى كل عام وأن يمضى فى مشروعه هذا حتى تتأصل قواعده ، ويتسع مداه ، ويشمل الوطن من أقصاه إلى أقصاه .

فى المستقبل آمال
وفرص مهيأة للاستغلال

بقلم الأستاذ سيد قطب

فى الحاضر آلام ، وفى المستقبل آمال ...

هذه الحقيقة بشقيها هى التى يجب أن نعتنقها ، ونؤمن بها ، ونعمل على ضوئها . ومهما اشتد سخطنا على الحاضر وما فيه من نقص ومشاكل ورثناها من الماضى البعيد والقريب ، فيجب ألا يدفعنا السخط على الحال إلى اليأس من المآل ، فان يدفعنا هذا اليأس فى حاضر ولا مستقبل ، بل على العكس يحرمنا ثمرات الأمر الواسع العريض .

فى الحاضر كثير مما يؤلم فى الاجتماع والاقتصاد والأخلاق ... ولكن هذا الحاضر فى مجموعه خير من الماضى فى مجموعه ، وإن اختلفت فى هذا الحكم بعض الجزئيات . وأما المستقبل فحافل بالفرص المهيأة للاستغلال ، الكفيلة بأن تحقق لنا كثيرا من الآمال ، إذا استطعنا أن نستفيد منها ، وأن نتيقظ لها ، وألا ندعها تمر بنا ونحن فى غفلة عنها بالسفساف من الأمور ، وبالمشاغل الارتجالية الجوفاء

وسنحاول فى هذه الكلمة أن نستعرض تلك الفرص السانحة وما نستطيع أن نحققه فيها من آمالنا القومية :

* * *

١ — من الوجهة الروحية :

يبدو من الصراع العالمى الحالى ، ومن وسائله الظاهرة وبواعثه الكامنة أن الحضارة الغربية تصفى حسابها من الوجهة الروحية ؛ فقد انطلقت بحضارة القائمة على العلم وعلى الصناعة وعلى المادة ، تركض فى هذا الكون بقوة جنونية لا حد لها ولا مصير . انطلقت فأخوذة بمجمى الاختراع الآلى والتقدم المادى ، تحطم كل ما ثبت الانسانية فى صوغه من المثل الروحية ، والعقائد الانسانية ، والتقاليد الانسانية ، وانطلقت فرحة بمعجزات الصناعة ، وعجائب المادة ، فلم تلتفت للجانب الانسانى فيها ، من هاب العلم الذى أنشأ الحضارة يقضى على الحضارة ، وراحت الدروة تحطم عجائب الصناعة !

وكانت هذه نتيجة مترقبة للفتنة بالمادة و إهمال ما عداها ، فالويلات التى تنصب الآن على رءوس المحاربين والمسالمين فى عنف وقسوة ، هى استهتار بالآدمية ، و إنكار للانسانية ، ونكسة إلى الوحشية ، منشؤها جميعا إغفال الروح ، و إهدار القلب ، ونسيان الإنسان !

لقد نسى الإنسان نفسه ليذكر الآلة ، وأهمل روحه ليعنى بالجهاز ، فتقدمت الآلات والأجهزة ، وتأخرت النفس والروح ، حتى لقد راح بعض العلماء والفلاسفة فى الغرب المتحضر يخشى نتيجة هذا الانحطاط البشرى على العقل نفسه فى شتى ميادين نشاطه .

يقول الدكتور " ألكسى كاريل " فى كتابه " الإنسان ذلك المجهول (١) " .

" نكاد نحسب أن المدنية الحاضرة عاجزة عن تنشئة نخبة موهوبة تملك الخيال والعقل والشجاعة . لقط انحط المستوى العقلى والأدبى فى كل البلاد على التقريب عند أولئك الذين يحملون التبعات الجسام . تبعات القيادة فى السياسة والاقتصاد والاجتماع . وهذه مؤسسات المال والصناعة والتجارة قد أصابها انحطاط هائل ، ولابدع فهى متأثرة اضطرارا بشروط وأحوال حياة بلادها وحياة البلاد المجاورة لها وحياة العالم أجمع . فالأمر خطير ، وآمال العالم المعلقة بمدنيتنا خابت فلم تستطع أن تنشىء هذه رجالا كفاة فى عقلهم وشجاعتهم ، قادرين على قيادتها فى طريقها المحفوف بالمخاطر . ذلك مايجعل الحضارة فى خطر مهدد أبدا " ... إلى أن يقول :

" فمن الواضح اذن أن لهذه الانقلابات التى أحدثها العلم فى بيئتنا آثارا بينة ، ولهذه الآثار سمة ما كانت لتخطر على قلب . و إنها لآثار مختلفة جد الاختلاف عما كنا نرجى منها ونتظر فى أسباب حياتنا كلها " .

قيل هذا الكلام قبل الحرب الحالية ؛ فهو اليوم أصدق والشواهد عليه قائمة ولاسبيل إلى تبرئة النزعة العلمية المادية من هذا الاندفاع الجنونى إلى الصراع والتخريب والتحطيم .

فشلت الحضارة الغربية أو كادت ، لأنها قامت على أساس المادة وحدها وأهملت شؤون الروح ، ويبدو أن حضارة الشرق وكنوزه الروحية هى ملجأ العالم فى أزمته الحاضرة . نعم يبدو أن المستقبل لهذه الحضارة الروحية التى سيرتمى العالم المجهود المكدود فى أحضانها ، يستروح نسماتها ويستريح فى ظلالها ، ويطعم بها حضارته المادية الجافة ، لتستطيع الحياة والبقاء .

---

(١) نقلا عن ترجمة هذا الكتاب وشرحه للأب بولس سويد المخلصى .

وقد يجد العالم ما ينشده فى الهند مثلا صاحبة الفلسفات الروحية العميقة ، فلم لايجدها فى مصر وريثة الحضارات الشرقية والغربية جميعا ؟

إن مصر الفرعونية الضاربة فى مجاهل الزمن ، ومصر الإسلامية الحارسة لهذا الدين ، ومصر التى عبرت بها الحضارات العالمية جميعا منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا . مصر هذه تستطيع أن تساهم فى بناء العالم الجديد من الوجه الروحية ، مستعينة بمركزها الروحى والدينى والجغرافى على النهوض بهذه التبعة التى نهضت بها فى تاريخ الانسانية مرة ومرة ومرة . وهى فرصة سانحة يجب ألا نضيعها أو نغفلها وسنبين فيما يلى كيف تهيأ العوامل الأخرى لمصر أن تنهض بواجبها كاملا .

٢ — من الوجهة الدولية :

إننا حين أسلفنا أن مصر تستطيع أن تنهض بوظيفتها الروحية ، كنا ننظر إلى موقعها الجغرافى و إلى مكانها فى العالم الإسلامى خاصة والشرق عامة ، و إلى الممكنات المهيأة لها من الوجهات الاقتصادية والقومية والثقافية .

فمصر قنطرة العالم وهى فى الوقت ذاته قلب الإسلام والشرق ؛ وقد استحقت هذه المنزلة من دهور بعيدة ، استحقتها يوم سبقت العالم كله فى الحضارة وعلمته المدنية الأولى ؛ ويوم احتضنت الفلسفة الإغريقية وألوتها باللون المصرى على عهد مدرسة الاسكندرية والأفلاطونية الحديثة ؛ ويوم ضمت جوانحها على المسيحية واستشهد فى سبيل العقيدة شهداؤها بالألوف ويوم فتحت صدرها للإسلام ثم أضحت عاصمته الأولى ، ويوم حمته وصدت عنه الغزاة ، الصليبيين ، ويوم وقفت قبل ذلك تذود عن الحضارة البشرية كلها وترد التتار ، ويوم نهضت نهضتها الأخيرة وأرسلت أشعتها إلى الشرق كله .

حين نهضت الهند فى العصر الحديث قال زعيمها : "لقد اقتفينا أثر النهضة المصرية وانتفعنا بتضامن أبنائها على اختلاف دياناتهم " وحين وقفت مصر — فى هذه الحرب — إلى صف الديمقراطية — و إن لم تحارب — كان لموقفها صداه وتأثيره فى جميع بلاد العالم الإسلامى . فقد نشرت الأهرام لمكاتبها فى لندن حديثا لمستر توسج مع جريدة " امبايرز نيوز " جاء فيه :

" لقد كان الشعور القوى بالتضامن بين المسلمين موجودا دائما . لذلك جزع المسلمون خاصة للتهديد الذى استهدفت له مصر التى تتمتع بنوع من الزعامة فى العالم الإسلامى .

"وكان من جراء موقف مصر الثابت الحازم إلى جانب الحلفاء والبيانات والإذاعات التى أدلى بها الساسة المصريون وغيرهم من وجهاء شمال أفريقيا . أن رسخت فى شرق أفريقية الفرنسية آراء روحية وثقافية جعلت مهمة الاستيلاء على هذه البلاد أسهل وأيسر " .

ثم قال :

" وفى ظنى أنه كان لتعاون هذا الشعب أثره القوى فى الحالة القائمة الآن فى شمال أفريقية كله فهو لم يساعد الحلفاء على بلوغ أغراضهم فقط ، ولكنه أظهر إيضا ما لمصر من نفوذ أدبى مهم فى منطقة البحر الأبيض كلها " .

فمصر صاحبة هذا النفوذ ينبغى أن تنتبه لمركزها ، وألا تستصغر نفسها على المساهمة فى بناء حضارة العالم الروحية .

ثم يجب أن ننتفع وتنفع الشرق معها بهذا المركز الممتاز الذى كان له أثره الواضح فى الأحداث العالمية الحاضرة ، والذى تستطيع أن تجعل له أثره الواضح كذلك فى الأحداث العالمية التالية .

ومن الفرص السانحة أن تعمل مصر على توطيد علاقاتها بالعالم العربى خاصة والعالم الإسلامى عامة ، وإذا تم مشروع " قطار الشرق " فسيعجل بهذه الغاية وبذلك تصبح قوة لها حسابها فى تكييف مصائر الأمور بعد الحرب ، وقد ورد فى خطاب العرش مايدل على توطد هذه العلاقات حيث قال :

" ويسرنى أن أنوه بوجه خاص بأن العلاقات القائمة بيننا وبين الدول الشرقية والعربية الشقيقة على أتم ما تكون نماء وصفاء وودا وإخاء ، وأنها تزداد على مر الأيام قوة ونماء " .

فإذا مضت هذه العلاقات فى طريقها كان الربح الدولى لمصر وللبلاد الشقيقة مضمونا وكانت الفرصة سانحة للمساهمة فى بناء العالم بجهد واضح وصوت مسموع .

يقول سعادة الأستاذ حسن نشأت باشا سفير مصر فى لندن فى حديث له مع وكالة الأنباء العربية :

" لا ريب فى أن مصر ستحتل مكانا خطيرا فى الشرق الأوسط وأفريقيا بعد الحرب ، فإن العالم أسره يعرف مابينها وبين جميع بلدان الشرق الأدنى والأقطار الإفريقية من أصفى العلاقات وأبلغها مودة ، ولا يخفى عليه أن هذه العلاقات بلغت الآن مستوى رفيعا من التفاهم والتوثق المكين ، وسيكون المستقبل حتما خيرا من الحاضر وأفضل ، لأن هذه الأقطار تدرك أن مصر لا تبغى عدوانا على أحد ، ولا مطمع لها فى بلد من البلاد .

" إن مصر لا تضمر مطامع إقليمية ولا تريد أية سيطرة سياسية ، ولم يقم هذا التفاهم التام بينها وبين الأقطار الشرقية إلا ثمرة للتعاون الثقافى ثم وحدة اللغة ، كما تجمع بينها وحدة العقيدة لأن هذه الأقطار عامة تدين بالإسلام " .

فمصر هذه ليست صغيرة ولا ضئيلة الأثر فى مصائر العالم إذا عرفت كيف تستغل هذا الوضع الممتاز لمصلحتها ومصلحة العالم العربى من الوجهة الدولية ، ويبدو أنها متيقظة لهذه الفرصة كما يبدو من تصريحات رجالها المسئولين ، وأنها ستلعب دورها على المسرح العالمى فى حينه المناسب .

٣ — من الوجهة القومية :

قال مراسل التيمس فى مصر فى مقال طويل عن العلاقات بين مصر وانجلترا فى أثناء اشتداد الخطر على الحدود المصرية :

" إن العلاقات الانجليزية المصرية قد تحسنت وأصبحت أثبت مما كانت من قبل رغما من دعاية المحور المستمرة لتحويل المصريين الى عداء بريطانيا " .

وقال : " إن مصر ثبتت فى تمسكها بتعهداتها وهذا بلاشك يدل على انتصار السياسة الحكيمة التى انطوت عليها المعاهدة الإنجليزية المصرية " .

ثم قال : " إن المعاهدة البريطانية المصرية وضعت بحيث لو فرضت على مصر أكثر مما فرضته لأضرت بالغرض المقصود منها ، فنحن الآن فى بلاد تضع تحت تصرفنا كل ما لديها من معونة لتسيير الحرب مع أنها فى الواقع ليست فى حرب مع غيرها وهى ميزة واضحة لكل إنسان " .

هذه شهادة بريطانى على ما قدمته مصر فى هذه الحرب من خدمات لحليفتها ، وأذكر أن اللورد اللنبى قد صرح عقب الحرب الماضية بأثر خدمات مصر فى انتصار بريطانيا فى الشرق سنة ١٩١٧ هذا الانتصار الذى كان فاتحة النصر النهائى .

فمصر هذه الحليفة المخلصة التى تساهم مرتين فى النصر، تستطيع أن تقنع حليفتها بأمانيها القومية المشروعة فى سهولة ويسر، وهذا الاعتراف بخدماتها يتيح لها هذه الفرصة العظيمة.

"إن لمصر الحق أن تطمع فى أن تكون مملكة النيل الكبرى، وفى أن تكون من حراس شرق البحر الأبيض المتوسط ، وفى أن تكون زعيمة الأمم العربية والإسلامية ، وفى أن تكون حليفة قوية ، صديقة وفية. وهى تعتقد بحق أن عنصرها وقوادها الكامنة فيها تحثها على الاطمئنان الى هذه العقيدة"(١) .

ونستطيع أن نقول : إن المستقبل يحمل فى طياته تحقيق هذا الأمل ، وإن الفرصة ستسنح قريبا وإنها لن تضيع .

---

(١) نقلا عن كتاب مبادئ فى السياسة المصرية لسعادة محمد على علوبه باشا .

٤ — من الوجهة الاقتصادية :

قد تكون هذه أوسع الميادين المفتوحة الأبواب فى المستقبل القريب، وفيها تكمن أحسن الفرص وأنسب الظروف . وسنستعرض هنا سريعا بعض الممكنات الاقتصادية السانحة :

(أ) مصر محطة عالمية : كانت كذلك فى معظم فترات تاريخها القديم والحديث حتى قبل شق قناة السويس، ثم وضحت هذه الحقيقة بعد افتتاح القناة، وقد ضاعت عليها مع ذلك فرص كبيرة لاستغلال هذا الوضع المنقطع النظير، لأنها كانت فى حالة إعياء أو ذهول .

ولكن الغد يحمل اليها فرصة عجيبة منشؤها تقدم الطيران . . فهناك مشروعات فى حيز التنفيذ فى أن تكون مصر محطة عالمية للطيران ، تصل الشرق بالغرب . واذا تمت هذه المشروعات وستتم كما تشير جميع البوادر والأوضاع ، فسيفتح أمام مصر مستقبل صناعى واقتصادى منقطع النظير ، وحسبنا أن نتصور عظمة المطارات وورش التصليح والتموين وحركة النقل التى ستتبع المشروعات المنتظرة لنتصور كيف تفتح أبواب العمل أمام الشبان المصريين من جميع الطبقات وتفتح أبواب الايراد للخزانة المصرية من كل نوع .

وهذا كله ممكن اذا فتحنا أعيننا من الآن وتهيأنا للانتفاع من موقع بلادنا الممتاز، ولم نكن من الذهول والإعياء والتفريط بحيث نكرر ما حدث فى قناة السويس.

ومما لا شك فيه أن هذا حادث قريب منتظر فى خلال العشرة الأعوام القادمة فيجب أن نتهيأ له بكل ما فينا من يقظة وانتباه ، وأن يكون له أثره فى مناهج تعليمنا وفى قوانيننا حتى نعد الشباب المصرى للانتفاع به وبغيره من الأحداث الصناعية الأخرى التى تتهيأ لها البلاد .

(ب) مصر مركز صناعى : وليس فى هذا القول أية مبالغة ، ولو أن مشروع كهربة خزان أسوان كان اليوم قائما لبدا هذا القول بديهيا واضحا، ولكن هذا المشروع سيتم ولا محالة عقب الحرب وسيتيح لمصر فرصة طيبة للمساهمة فى النهضة الصناعية، ولا سيما بعد أن اتضح أن بها كميات وافرة من أجود أنواع الحديد فى العالم ، ومن الكروم والمنجنيز والطلق والذهب والتربنتين .

وإذا كان عدد السكان الحالى يناهز المليون فالمنتظر أن يبلغ ضعف هذا الرقم بعد تنفيذ المشروعات الصناعية المنتظرة . على أن الميدان الرئيسى للصناعة المصرية سيظل — مع هذا — هو ميدان الصناعات الزراعية ، وحين تنظم

هـذه الزراعات على مثال ما هو حاصل فى الدانمرك وهولندا ، سيخفف العبء كثيرا عن الاقتصاد القومى المنهوك ، ويتسع الدخل العام لإعاشة الملايين التى ينحط دخلها الآن عن الحد الأدنى اللازم للحياة ، وتتسع مرافقها للعدد المنتظر تعطله بعد الحرب .

(ج) مصر مركز تجارى : وسيساعد موقع مصر الجغرافى ومركزها فى العالم الشرقى ، على أن تصبح مركزا للتصريف التجارى فى الشرق العربى . وقد جاء فى حديث نشأت باشا عن هذه النقطة قوله :

"فى الإمكان تنمية الحركة التجارية بين هذه الأقطار بعد أن تضع الحرب أوزارها ، وإبلاغها حدا عظيما من التوثق والتقدم . وقد تحسنت العلاقات التجارية بينها بسبب الحرب تحسنا كبيرا اذ حفزتها مصاعب الشحن والنقل البحرى الى التعاون بينها واعتماد بعضها على بعض أكثر مما كانت قبل الحرب . ولا بد من أن تقوى هذه الروح وتنمو بعد انتهائها ، لأن هذه السياسة المرعية بين الجيران لا يقتصر فضلها على أنها فكرة اقتصادية سليمة ، ولكنها أيضا رابطة وطيدة ووشيجة قوية الأسباب".

فهذه الممكنات الثلاثة من الناحية الاقتصادية فرص سانحة لا شك فيها ، ولكنها فى حاجة الى التهيؤ لها بكل انتباه ويقظة وإعداد ثقافى ومالى وقانونى وسياسى ، حتى تحقق الآمال المنوطة بها فى مستقبل الأجيال .

٥ — من الوجهة الاجتماعية :

فى مصر نهضة اجتماعية لا شك فيها ، ومهما يكن هناك من المعوقات فى طريقها من أثقال الماضى والحاضر فهى بارزة ولا سبيل إلى إنكارها ، وستسرع هذه الخطوات التى تلوح لنا الآن وئيدة ، وستبلغ ما هو مقدر لها من نمو والكمال .

وحسبنا أن نشير الى ما تم من الإصلاحات الاجتماعية ، وما هو فى طريق التمام ، فمشروع تحسين الصحة القروية ، وقوانين العمال ، ومشروع توزيع الأراضى المستصلحة على صغار الزراع ، وتنظيم التعاون ، وتعديل لائحة السجون ، والتغذية العامة للطلبة والتلاميذ والفقراء ، وضريبة الخدمة الاجتماعية ، وإلغاء الضريبة عن صغار الملاك ، وزيادة أجور العمال ، وإلغاء البغاء ، وتنظيم الجمعيات الخيرية ، وتخريج عدد من الاخصائيين الاجتماعيين ومراكز الفلاح ، والمكاتب الاجتماعية ، وتطوع الشبان والشابات للخدمة العامة ، ووجود هيئات تعالج الاصلاح الاجتماعى .

كل أولئك دلائل نهضة اجتماعية لا شك فيها ، وستؤتى هذه النهضة ثمارها على مدى الأيام .

على أن هناك ما هو أعظم فى نظرنا من هذه المشروعات جميعا ، ذلك هو الروح الاجتماعى الذى أخذ يستيقظ ويحس بما فى أوضاعنا الحاضرة من عيوب ، فهذا الروح هو الضمان القوى لاستمرار هذه النهضة وتقدمها وثبات خطاها فى مقبل الأيام .

وهذا هو عنصر التفاؤل والرجاء فى المستقبل ، وعلى أصحاب الأقلام أن يساهموا فى إحياء هذا العنصر الثمين وتقويته وتنبيهه على الدوام .

٦ — من الوجهة الثقافية :

ورصيدنا القومى من هذه الوجهة يبدو مطمئنا ، ولكن يجب أن نفرق بين الحاضر والمستقبل فى الحكم على هذا الرصيد .

نحن اليوم أفضل منا منذ نصف قرن ... هذا ما لا شك فيه ولا مجال لإنكاره ، ولكن نظامنا التعليمى الحاضر لا يصلح لمواجهة المستقبل .

إلا أن موضع الرجاء والتفاؤل أن القائمين على شؤون الثقافة اليوم يدركون هذا الذى نقول ، ويعملون على تغيير الأوضاع الحالية لمواجهة العصر الجديد . وإنشاء مراقبة إحصاء التعليم دليل على هذا الإدراك وضمان لحسن رسم الخطط على شرط أن تتجاوز المراقبة فى إحصاءاتها دائرة المدارس والتعليم إلى دائرة المرافق العملية وحاجات السوق فى الحاضر والمستقبل .

وقد تحدثت عن التعليم فى مقالين بهذه المجلة : أولهما عن " صعوبة التعلم العملى وبعده عن تلبية حاجة السوق " فى العدد الحادى عشر — والثانى عن " الاتجاه القومى للتعليم " فى العدد الثانى عشر من العام الماضى .

فأضيف إلى ما كتبت عن هذا الموضوع أن حاجة المستقبل تقتضى جهودا شاقة لتواجه مصر وضعها العام كمحطة عالمية ، ووضعها الاقتصادى كمركز صناعى ومركز تجارى حين تنفذ مشروعات الطيران العالمية ، والمشروعات الصناعية والتجارية الداخلية والخارجية والوقت ضيق والفرصة سانحة ، ولكنها عرضة للضياع .

كلمة عامة :

إننى من المتفائلين على الرغم مما تحمله كلماتى فى هذه المجلة من نقد لكثير من العيوب والنقائص . ولكن هذا التفاؤل فى حاجة إلى جهد عام من الشعب ومن الدولة ليصبح قائما على أساس .

وإن هناك من العوامل ما يعوق خطوات هـذا التفاؤل ، وقد أشارت الأهرام فى إحدى مقالاتها الى بعض هذه العوامل تحت عنوان " براجنا بعد الحرب " حين قالت :

" ان الظروف الحاضرة تستنفد الأيدى العاملة جميعا ، فليست فى مصر اليوم بطالة ولكن متى وضعت الحرب أوزارها برزت لنا هذه المشكلة فى صورة أسوأ مما تركناها فى عهد السلام . سيتعطل عشرات الألوف من العمال وعشرات الألوف من المتعلمين الذين يؤدون أعمالا كتابية أو ادارية صغيرة ، وسيضاف إلى هؤلاء وهؤلاء عشرات ألوف أخرى من المتخرجين فى المعاهد والجامعة والمدارس المتوسطة . سيطالبنا كل هؤلاء بالعمل أو بالطعام . فهل فكرنا فى علاج لمشكلتهم ، هل فكرنا كيف نتصرف فيهم عندما تضع الحرب أوزارها ؟

" وقد أدت ظروف الحرب الى انعاش بعض الصناعات المحلية فاستخدمت الوفا من العمال وأخذت تدر على أصحابها الأرباح وبدت كأن قدمها قد أخذت تتوطد فى السوق ، فاذا انتهت الحرب وانفتحت البحار عادت هـذه الصناعات حتما الى الانكماش ، وعاد أصحابها الى الشكوى وخرج عمالها الى الشوارع يطلبون عملا أو خبزا .

" وفى الزراعة قلنا للناس : ازرعوا أرضكم حبوبا ، والحبوب اليوم مرتفعة الأسعار فهى تجزى زارعيها ربحا حسنا ، فاذا انتهت الحرب لم تعد عملا مربحا ، فهل فكرنا منذ الآن فيما نصنع ؟ هل فكرنا فى أى المحاصيل نزرع بعد الحرب وخاصة بعد أن أصبح القطن غير صالح للاعتماد عليه ؟ وهل فكرنا فى الاستفادة من الظروف وخلق ما يسمى بالصناعات الزراعية أو تشجيعها على الأصح ؟

" وهل أعددنا العدة لتبديل نظام الضرائب ، وتوزيع الأعباء بين مختلف الطبقات . وقد قلنا : إن الحرب ستحمل فى عواقبها تطورا جديدا فى هذا الشأن وسيتجه هذا التطور من غير شك الى اعفاء الطبقات القليلة الكسب من أعباء الضرائب اعفاء تاما ؟ " .

وهذه المشكلات كلها صحيحة وستواجهنا كلها بعد الحرب بقوة . ولكن عوامل الرجاء أكبر من عوامل اليأس فى جميع هذه المشكلات إذا عرفنا كيف نتهز الفرص المهأة للاستغلال .

سيد قطب

الاغانى المصرية
بعض أمراض المجتمع

للأستاذ فايد العمروسى

الأغانى فى مصر صورة ناطقة لغرائز الشعب وميوله المكبوتة منها والطليقة، وهى تعبير صارخ عن إحساسه وذوقه ، ولكنها لا يمكن أن تكون صورة أو شبه صورة للحياة الفكرية الأدبية فى مصر ، بل هى أبعد ما تكون عن الانتاج الفكرى السليم وعن الأدب الرفيع .

وآفة الغناء عندنا يمكن أن ترجع إلى ثلاثة أمور :

أولها المؤلفون ، وثانيها الموسيقيون وبالتعبير الأصح الملحنون ، وثالثها الذوق الفنى للشعب .

أما المؤلفون فمعظمهم من المرتزقة الذين ليس لهم من الثقافة نصيب ، احترفوا تأليف الأغانى بالألفاظ العامية، ودسوا تحتها المعانى المرذولة الوضيعة، ونفثوا فيها سموم الأمراض النفسية التى تفسد النفس والروح ، وتحل الأخلاق وتحو الرجولة وتشوه سمات الشباب ، ولست بحاجة إلى سوق أمثلة من تلك الأغانى فكل فرد فى الأمة ذكرا أو أنثى ، متعلما أو غير متعلم يحفظ هذه الأغانى المسمومة عن ظهر قلب ، بل إنها لتنشيد بعضهم فى اليقظة والمنام ، وفى شغلهم وراحتهم وفى طريقهم ومنازلهم ، وهؤلاء المؤلفون كما يدعون ، والعابثون على الوجه الأصح يمرحون فى بحبوحة من الحرية بلا رقيب .

والموسيقيون أو الملحنون ! ! وكلمة "الموسيقى" كلمة عالية رفيعة ، لأن الموسيقى شخص موهوب صافى الحس والخيال معمور اللب، والروح بالمثل العليا وقداسة الإلهام . فالملحن هو الشخص الذى يمكن أن يوجد عندنا على أنه نادر أى ندرة. بعض هؤلاء أيضا من جراثيم الأمراض الاجتماعية الفتاكة ! إنهم ملحنون طالما لكل منهم يدان فى كل منهما خمس أصابع تحرك الأوتار كيفما اتفق وحيثما يكون !

إن التلحين هو تعبير الألحان الجميلة عن معنى المقطوعات الغنائية ، والملحن إن لم يكن له من طاقة إحساسه قوة كبيرة تحس المعانى ، وإن لم يكن له من ثقافته ما يدرك به هذه المعانى إدراكا عميقا ، وان لم يكن له شعور فنى يتذوق الفن . إن لم تكن فيه كل هذه القوى مجتمعة فسد فنه ، وكان فساد ألحانه فى روح الشعب أشد وأنكى من فتك الأمراض و بلاء الأدواء .

والذوق الفنى للكثيرين من أفراد الشعب . . . — وهنا لاضير على أن أقرر الحقيقة — إنه ذوق صالح جدا لمثل هذه الأغانى التى أعيبها ، ولمثل هذا التلحين لذى وصفته ، بل إنه ذوق لا يستساغ سوى هذه الأغانى الهزيلة ، ولا يطرب لسوى ذلك اللحن الفاسد المعيوب... وإن المصلح أى مصلح والناقد أى ناقد ليسير كل منهما بخطا واسعة المدى حتى يصطدم بالعقبة الخالدة وهى ذوق الجمهور الفنى ، وفى هـــذه النقطة فقط تفشل حملة الكتاب ويخيب رجاء الإصلاح .

ولو حددنا القول من غير توسع لقلنا : إن للكثيرين منا ذوقا فنيا رديئا غاية الرداءة ، أو هو ذوق لم تنقصه الثقافة والتهذيب . وهؤلاء معذورون فى هـذا كل العذر لأن الذوق موهبة من مواهب الإنسان ترقى برقيه وتنضج بنضوجه . وهو مرتبط كل الارتباط بحياة الشعب الفكرية من آداب وعلوم وفنون ، ولن يدعى مدع أننا خطونا فى الفنون خطوات واسعة تحقق لنا تربية الأذواق السليمة أو الإحساس الرفيع !

والمسئولون أولا وآخرا عن فساد هذه الأذواق أو ضعفها هم مؤلفو الأغانى وملحنوها ومغنوها ، والمحزن أن أرباب الأقلام من الشعراء والكتاب فى مصر لاصلة لهم بالتأليف الغنائى ولا بالمغنين بعد استثناء عدد قليل أو شاذ ! ! أهؤلاء عاجزون ؟ أم أنهم مترفعون ؟ الحق هو هذا وذاك ؛ فهم عاجزون لأنهم دفعوا إلى الملحنين روائع من أدبهم فلم يفهم الملحنون هذه الروائع ، وبالتالى لم يستطيعوا تلحينها ، لأن التلحين كما قلت هو فهم المعنى والقدرة على الإحساس به ، ولن يستطيع الملحن أن يضع موسيقى لمعان بعيدة عن عقله ، ولإحساس بعيد ورفيع عن طاقته المعنوية . والأدباء الكبار قد فشلوا أيضا . فشلوا لأن بضائعهم الأدبية فى السوق أولا غالية الثمن ، وثانيا جيدة العنصر رفيعة الجوهر ، وبجانب هذه البضاعة الجيدة بضائع أخرى رخيصة الثمن رديئة العنصر مريضة الحس ، والبضائع الرديئة كما تقول النظرية الاقتصادية تطرد البضائع الجيدة من السوق . والغريب أن هذه نظرية تحققت فى عالم الأغانى وفى عالم الأدب أيضا ، فالإنتاج الأدبى القوى لايتداول ولا ينتشر فى الحركة الفكرية المصرية وان كان يحيا ويخلد ولكن فى زمن غير زمنه .

والدليل على هذا أن فى جو أغانينا المصرية نشيدين وطنيين لكبيرين من الأدباء لم تدم حياة انشادهما إلا مرات معدودات ثم خفتت أنغامهما ... ولماذا ؟ لأن فيهما عناصر القوة الأدبية و لامح الفنون الرفيعة ، وكلتا الخاصتين كما قلت لا يهضمها الملحن فيعجز عن وضع موسيقا لها ، ولا يحسهما المستمع فيسأم منهما ، ولا يطرب لهما القارئ على ندرته فيتنحى ! إن الأدب العربى عامة والأدب الحديث خاصة محشود بالقطع الغنائية الرائعة ففيها الوطنية والحماسة وريح التضحية وايثار النفع العام، ثم فيها تصوير العواطف الانسانية على اختلاف نزعاتها وفيها القصص والتمثيل الذى يعالج المشاكل الاجتماعية القومية .

فى هذا الأدب عامة ثروة طائلة وبخاصة فى انتاج بعض شعراء هذا العصر فأين من يستسيغ هذا وأين من يختاره ؟ سيسخر منه الملحن إذا رآه لأنه لاعهد له بمثله ! وستتجهم له محطة الإذاعة لأن أنواء المغنيات لا تحمله ! !

ومن الأغانى الأناشيد واننا لأشد الأمم فقرا الى الأناشيد ، الى الأناشيد الريفية التى تجمل طابع الريف وتصور نيله وقطنه وقمحه وربيعه وخيراته وجاموسه وبقره ، وتصور ساعد فلاحه ونشاطه وتمجد ذراعه وساقه وتشيد بجهوده وعرقه ، وتكرم الفلاحة فى صباحها ومسائها ووراء ماشيتها وفى عقر دارها .

نحن فى حاجة الى أناشيد للعمال ، أناشيد للصناعة الحية تمجد الصناع وتشجعهم وتشيد بذكرهم وتصور مفاخر الصناعة فى الماضى وأملها فى الحاضر والمستقبل ، نريد أناشيد للصناع يتغنون بها فى أوقات فراغهم ... فى حاجة الى أناشيد للنشء الصغير ، أناشيد ليس من الضرورى أن تكون كلها وطنية ، فنشيد وطنى واحد يكفى لكل طبقات الشعب جنديا وزارعا وصانعا وتلميذا ، ولكن نريد أناشيد للدرسة والبيت واللعب وكل ما يقع عليه حسه فى العالم المحيط به . نريد كل هذه الأناشيد على اختلاف صنوفها لتدرس فى المدارس مع الطفولة . ولتغنى فى كل وقت وكل مكان ولتكون جزءا جوهريا من مناهج التعليم وليس أشد نكبة من أن يكون شعار الغناء عندنا " يالوعتى " " أو بلاش تبوسنى " وانك لترى التلميذ متأبطا كتبه ، محاصرا زميله يغنى فى فتور ورخاوة " يالوعتى " وأعجب من هذا وذاك أن تسمعها من العامل... العامل الذى تأبى رجولته وفتوته أن يعرف اللوعة ، ويأبى اجتماعنا وغناؤنا إلا أن نلبسها فى روحه دسا فى لحن لين متكسر .

أما نكبة هذا الغناء فى نفوس فتياتنا ، وأما مكانته فى قصور الأغنياء ومنازل الفقراء فحلها جانبا ...

من هذا العرض السريع تبين أن آفات الأغانى عندنا هى التأليف الغنائى والملحن والذوق الفنى لبعض الجمهور . وكل تفكير لإصلاح الأغانى يجب أن يتناول هذه النواحى الثلاثة وأولها : التأليف الغنائى .

وما أظن أن التفكير فى علاجه مستحيل وليس هو بالأمر العسير . وان من الحكمة أن يشغل اصلاح هذه الأغانى اذهان المفكرين فى الأمة لأنها جزء جوهرى من حياة الشعب النفسية ، وعلى أسمها تربى العاطفة القومية بل منها تتكون الوطنية بألوان قوتها وضعفها ، فوق أنها الغذاء الفنى للروح والعناصر الأولى لتربية الأذواق ومن أوضح طرق العلاج وأيسرها لألفاظ الأغانى ما يأتى :

(أولا) الرقابة التامة على التأليف الغنائى ، وأعنى بها النظر فى كل مقطوعة غنائية شعرا كانت أو ما يشبهه من حيث ألفاظها ومعانيها وغايتها ، بحيث لا تمر قطعة واحدة من مؤلف الى ملحن ثم الى مغن إلا بعد أن تنال القبول شكلا وموضوعا لدى هذه الرقابة .

(ثانيا) أن يكون أعضاء لجنة الرقابة من الشعراء والأدباء ومن عرفوا ببحوثهم الاجتماعية ونحن والحمد لله لا ينقصنا هؤلا - فهم كثير وجهودهم فى الأجواء الأدبية والاجتماعية معروفة مشكورة .

(ثالثا) أن تكون هذه الرقابة تابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية ، وأن يعطى لها حق الاقتراحات التى تكفل بها تصفية هذه الأغانى وتهذيبها من السقط وتطهيرها من الجراثيم وأنا كفيل أننا سنخرج بعد هذه الرقابة بمحصول وافر من الأغانى فى جميع ألوانها ونزعاتها وسيكون هذا المحصول عالى الأداء رفيع المعنى صافى التعبير واضح الغاية .

والمطالبة بوجود هذه الرقابة ليست بدعا أو خلقا جديدا ، فهناك هذه الرقابة عينها فى وزارة المعارف تشرف إشرافا تاما دقيقا على ما يلقى فى محطة الاذاعة من المحاضرات بجميع أنواعها وعلى ما يلقى من الشعر والقصص والمقطوعات التمثيلية ، ولقد نجحت هذه الرقابة فى إشرافها بما بذلت من جهود فى التهذيب والدقة والاختيار .

هذه بعض نواحى وجوه الاصلاح للتأليف الغنائى ، ولا أدعى أنها كل شىء ، أو أنها صفوة التفكير وغاية التوفيق ، ولكنها على الأقل تصلح أساسا للتفكير فى هذه الناحية ، وتصلح خطوة أولى فيما نريد من اعتناء أولى الأمر بأغانى الشعب ، وهى كما قلت فى وضعها الحالى بعض الأعراض الاجتماعية عندنا .

وثانيها التلحين :

ولدينا فى مصر ملحنون لا يعدون ، ولكن الذى يعرف فنه منهم عدد أقل من أصابع يد واحدة ... يعرف فنه فيجيد أحيانا فيما يلحن إجادة جديرة بالإعجاب ، ويخفق أحيانا أخرى فيستحق النقد الشديد ... لدينا ملحنون لا يعدون يعرفون — فقط — كيف توضع ألفاظ

الغناء فى نغم أى نغم ... وفى لحن أى لحن ، وهم معذورون فيما يصنعون ما دام لقب الملحن لقبا شائعا يستطيع أن يحمله كل من حرك بأصابعه أوتار العود ! ! والتلحين كما قلت - يتطلب فهما لمدلولات الألفاظ ، ويتطلب إدراكا للمعانى وإحساسا بالغاية التى تنشدها من الغناء ، وعلى أساس المعنى وإدراكه والاحساس به إحساسا سليما يوضع النغم فيصيب ، وما أظن أن النظر فى الانهاض بهؤلاء الملحنين أمر عسير ، ويمكن أن أعرض فى إصلاح أمرهم ما يأتى :

(أولا) لدينا دار اسمها " معهد الموسيقى الملكى " فى هذا المعهد ملحنون وموسيقيون قدماء وجدد فى ميولهم الفنية حسب الموسيقى ومعرفتها ، وهذا المعهد تشرف عليه وزارة المعارف إشرافا محدودا وتمده كل عام بمساعدة مالية كبيرة ، أفلا تفكر هذه الوزارة فى تنظيم هذه الدار تنظيما جديدا ، فتدخل على المناهج الموسيقية فيه مناهج للثقافة الضرورية للفنان ثم للثقافة الأدبية التى لها صلة بالموسيقا كالأدب وجماله ، والشعر ونظمه وفنونه ، والقصص الروائى والتمثيلى وغايته ، فالملحن لو فهم معنى جمال الأدب وتذوقه ، ولو حفظ شيئا منه مختارا ، ولو وقف على تاريخ الشعر العربى بقدر وجيز ، ولو درس دراسة محدودة لشعر الأندلس وموشحاته بما فيه من فنون وأشكال للأوزان المتعددة ، أقول لو أخذ الملحن من كل هذا شيئا يسيرا لاستنار فكره وصفا ذهنه وأحس بالذوق الفنى ينبض فى مواهبه فيساعده هذا على تنمية الاستعداد الفنى الذى دفعه إلى هذه الطريق .

وهذا تشريع يلقى على عاتق وزارة المعارف ، فعليها تنظيم دراسة ثقافية بجانب الدراسة الموسيقية وعليها الإشراف على تعليم الموسيقى بهذا المعهد .

(ثانيا) دراسة الموسيقى فى هذا المعهد دراسة شائقة غير مقيدة ، ويحسن أن تنتقى الوزارة مدرسين اخصائيين مقيدين بمناهج عليهم أداؤها أداء كاملا تحت إشرافها ، على أنه لا ينبغى أن نتجاهل أثر لموسيقى الغربية والموسيقى الشرقية فى الأقطار الأخرى ، فلو كان لهذا وتلك مدرسون يتعاونون فى تعليم أبناء هذا المعهد لكان لنا فيهم مواهب مطعمة بأكثر من لون واحد من الفنون ، والموسيقى العربية صالحة جدا للتطعيم .

بهذه الطريقة نستطيع أن ننتفع بكثير من المواهب الفنية فى الشباب الذى يلج باب هذه الدار صباح مساء ، وبهذه الطريقة عينها نستطيع أن نمحو من الجو الموسيقى العنصر الغنائى الردئ الذى يندس بين أفراد هذا الفن فيشوه الموسيقى والتلحين .

أما المغنون والمغنيات ، فهؤلاء قوم يملكون حاجرهم فحسب ، وما عليهم إلا أن يرددوا ويحاكوا ما يرسم لهم من الألحان ، ولكن يجب ألا يغيب عن أذهاننا أن طبيعة التلحين أحيانا قد تشوه صوتا هو فى ذاته جميل ، فاليقظة والحرص على إصلاح التلحين وترقيته قد تسمعنا من الأصوات أعذب مما نسمع ، وقد نستريح إلى هذه الأصوات ونألفها أكثر مما نفر منها الآن ونستاء ! !

بقى الذوق الفنى للشعب وهو ثالث الأدواء :

ذوق الكثير منا مريض ومشوه كما قلت. وقد يبدو هذا الذوق فى المدن المصرية أكثر منه فى الريف وما يشبهه، بدليل ان الأغانى الريفية معظمها جيد الكلام والمعنى جيد اللحن والتلحين، حتى أن بعضه ليأخذ بالألباب ويستهوى الأفئدة ويحرك العواطف ويوقظ الشعور، وهى فى جملتها أذواق ينقصها الإحساس الفنى السليم، ومن المستطاع العمل على ترقيتها ولو الى حد مقبول .

ومن وسائل الترقية :

(أولا) : تهذيب الأغانى واختيارها على الوجه الذى ذكرته فى هذا المقال، وأنا لا أنكر أن هـذه الأذواق التى عاشت زمنا طويلا تتغذى من هـذه الأغانى المريضة سوف تتأذى وتتقاسى اذا طلعنا عليها بالأغانى العاليـة فى ألفاظها ومعانيها وتلحينها ؛ ولكن الذى أقره أن الأذواق تراض وتعالج كما يراض الخلق وكل حاسة من حواس الجسم ، تراض وتعالج المرة بعد المرة حتى تألف وتتعود ثم تأخذ فى مراحل التهذيب والنمو .

فلتكن كما كانت " الطقاطيق والمنولوجات والأناشيد والمواويل وما يشبهها " للطبقات التى تستعذبها، وللتمثيل فى الروايات الشعبية ولكن بعد أن تهذب الفاظها بحيث لا يصعب على غير المتعلمين فهمها ، وبعد أن نمحو منها من المعانى ما يوحى بالذلة والخضوع والليونة .

(ثانيا) : احياء الشعر الغنائى العربى ، وهـذا أصلح غناء وأعذبه للذوق المهذب وللإذاعات العامة ولا أقصد بالشعر العربى شعرنا الحديث وحده ولكن أقصد الشعر العربى عامة على اختلاف عصوره ، فلوضع أن تكون هناك رقابة على الأغانى فليكن جانب من تلك الرقابة خاصا باختيار ما يصلح من الشعر العربى للغناء .

(ثالثا) الإكثار من إذاعة الأناشيد فى الحفلات العامة والخاصة ، ولغة الأناشيد غالبا أسلم وأصفى من لغة الأغنيات الأخرى ، وإذاعتها بكثرة على الشعب يضمن لنا تذوق اللغة الصحيحة أو القريبة من الصحيحة ، كما يضمن لنا كثيرا من المعانى المهذبة أو القوية ، واللغة والمعنى هما ما نوجه إليهما اهتماما خاصا ليتعود الشعب سماعهما المرة بعد المرة ، فيرقى الإحساس قليلا . ويتنبه الذوق السليم تبعا لرقى الإحساس .

وبعد ، فهذا عرض سريع لأغانينا . وإجمال وجيز لما نرجوه من إصلاح الأغانى والعناية بتلحينها والعمل على رفع المستوى الفنى للحنين ، ومحاولة تهذيب الذوق الفنى للشعب ، والقصد إلى إحياء الشعر الغنائى العربى ، والحرص على المواهب الفنية فى بعض الشباب الموسيقى بما نعده له من نظم ودراسات .

فايد العمروسى

حاجتنا الى النـادى النموذجى

بقلم الأستاذ صلاح الدين الشريف

الألفة وحب المعاشرة والإخاء الاجتماعى Sociabilité مظاهر مشتركة لغريزة من أقوى غرائز البشر ، هى غريزة نزوع الإنسان أبدا إلى الاجتماع بأفراد جنسه ، ومشاركتهم أعباء الحياة وشواغل العيش ، ومبادلتهم أشتات الأحاسيس وسـوانح الفكر ، والتضامن وإياهم على التخفيف من أخطار هذه الحياة وشرورها ، والتكثير من الدوافع المعينة على عيش الحضارة ، وهـذه لا تتوافى للعمران الإنسانى بغير اجتماع القوى الخـالقة واحتشاد الجهود المبـدعة لاكتساب الزمن ومراغمة الطبيعة !.

وطبيعى أن صورة المجتمع المثالى المتضامن ، كما يهدف نحوها الاجتماع المدنى الحديث ، لم تكن لتسنح على مسرح الوجود دفعة واحدة ، بل إنهـا قد جازت سلسلة مستطيلة من الانقلابات ومظاهر التحول ، تجاذبت فيها الأنانية الفردية والإيثار الجماعى ، ودخلا معركة لاهبة ما زالت تمثل لنـا فى صور من هذه الحروب العاصفة تنشب بين المجتمعات السياسية ، وما زالت تتجلى فى شتى مظاهر المنافسة والمزاحمة بين الهيئات والشركات والأحزاب فى داخل الوطن الواحد بالغة ما بلغت درجة العنف والمهاودة بينها .

على أن معايشة الإنسان أفراد جنسه والاجتماع بهم فى محيط الحياة والعمل ، قديم قدم الإنسانية فى مطاوى الزمن ومجاهل التاريخ — وإن لم يبلغ مبلغه الحالى فى كثير من أعراضه وظواهره — ولا وجه للعجب فى هذا ما دام أنه من عمل الطبع وحكم الغريزة . ومن وقت أن استأثر الإنسان البدائى بامرأة يختصها برعايته وحفاظه — بعد أن كان يحيا حياة التشرد الجنسى . أخذت جراثيم الأسرة البدائية وأصولها تتكون وتتكاثر لتبدأ عهد انقلاب وتحول فى تاريخ البشر ، هو عهد المؤاخاة العائلية وتضامن أفراد الأسرة الواحدة . وهـذا العهد لم يسلخ من دورة الزمن إلا ريثمـا تأدى بالإنسان إلى طور آخر تجمعت فيه الأسر التى تستشعر فى أعماقها ودمائها وحدة المنبت وشركة النسب ، لتظهر فى صورة أكثر ارتقاء ، ثم جاء عهد القبيلة ، الدولة التى تجمع أفرادها غاية الجهاد فى سبيل العيش والغلب ، وجامعـة الولاء لمـا ثبت فى أوهامهم وأحلامهم من عقائد ومثل وأساطير . . .

لم يكن ثمة متدح عن هـذه التقدمة كيما نؤكد حقيقة علمية حاسمة ، تتلخص فى أن الإنسان لا زال هو الكائن الاجتماعى المتطور وفق تطورات الاجتماع ، يؤثر فى ظروفه وتؤثر فيه .

وقد غبر عصر كانت فيه الحياة الاجتماعية ما تزال مضطربة متزيلة ، وأشرق بفجر العصر الذى أصبح الناس فيه وهم يحلمون بدستور التضامن يشتمل شتى مرافق الحياة ، ويحتفر

روافده خلال صور من التعاون والتساند بين المعاهد والهيئات والجمعيات ، يحتضنها بين جنبيه المجتمع العصرى المنظم ، وكلما توثقت الروابط الاجتماعية بين الأفراد ، فى ظل الشرائع والاخلاق وارتقاء الثقافات ، ارتقت بدورها حواسهم الاجتماعية وآدابهم العامة ، وأحسوا من ثمة بحوافز العمل الجماعى الواسع ، واستشعروا حاجتهم إلى تهذيب نواحى الضعف فى حياتهم ، بحشد القوى وتعبئة الجهود والملكات فى خدمة المجتمع ، وهكذا احتل " النادى " وهو اليوم أظهر ظواهر النشاط الجماعى الواسع ، مكانته الملحوظة فى حياة الجماعة ، ولو عرفنا مدى ما أسداه " النادى " من جلائل الخدم للاجتماع الغربى الحديث ، فى شتى نواحيه الثقافية والاقتصادية والصحية والسياسية ، لكان واجبا علينا أن نعير فكرته عناية أكبر مما يلقاها منا اليوم ، ولكن فى ميسورنا ، بعد أن ندعو إلى نظامنا الأمثل فى ربوعنا بالتشريع والتوجيه والقدوة ، أن ننظم جهود شبابنا فى مجموعات من الأندية المثلى موزعة على المدن والقرى ومراكز الأقاليم ، لتأخذ حياتنا القومية مظهرا أقوى وأهدافا أكمل وارتقاء أعلى وأمكن .

وأحسب أنه غير خاف على كل من تتبع خطوات الارتقاء فى نواحى اقتصادنا القومى ، تلك الناحية الشاذة تكمن فى مظهر اجتماعى هام — أعنى به التماسك — جلاه لنا هذا الشذوذ فى أوجه شائهة لا تتواتى وعظمة ما ينفق من جهد مالى وعقلى ، لتهذيب صناعاتنا القومية الناشئة ، كيما ترسخ أقدامها اللينة فى ميدان المنافسة الاقتصادية الحرة ، فلقد تناسى القائمون على أمر هذه الصناعات وشركاتها قيمة العامل الفردى فى حصص الإنتاج والاستهلاك من حيث ضيقها أو اتساع أقطارها ، وفى ألوان الابتكار من حيث طرافتها وجدتها أو جمودها وتخلفها ، وها هو ذا الاقتصاد الغربى الحديث ، ممثلا فى فلاسفته العمليين من تايلور وفورد إلى روكفلر ومنستر برج ، ومفرغا فى قالب من الاحصاء الدقيق القائم على حسبان مدى الجهد الفردى فى طبقات الأمة كلها ، يصور لنا مقدار ما يقابل أرقامه الناطقة من سعة أو ضيق فى أفق الحياة الاقتصادية القومية ، بل العالمية على حد ما أكده العلامة تروشى ، فالملكات العقلية والصفات البدنية ، وبإيجاز سمات الشخصية الفردية وكفاية نشاطها جميعا ، جد ملحوظة اليوم فى إعداد سواد العمال للعمل الصناعى صغر أو ضخم ، وإلا فماذا لعمر الحق فى مكنة عامل سقيم البنية مترايل الخلق مضطرب الموارد خامل الملكات مستيأس النظرة ، أن يؤديه لشركة ما ، بل لنفسه وأفراد أسرته ، بل للاقتصاد القومى كله ؟ ! إنه التضامن الاجتماعى الحديث ، فمثلا فى الأندية الكاملة والنقابات المنظمة ، ما يكفل لنا — كما كفل أمس لغيرنا — استنقاذ عمالنا الوطنيين واقتصادنا الجماعى الناشئ من وهدة التدهور العقلى والخلقى والصحى والفنى جميعا .

ولعل الأجدى ، بدل أن نعرض لدراسة موضوع "النادى" من خلال شتيت من النظريات الفقهية والاجتماعية الجافة ، قصد تحليله وتجليه أكمل صورة له ، أن نتخذ السمة العملية الحاسمة ، فنعرض على قراء هذه المجلة التى طالما سجلت وشجعت مظاهر النضج فى حياتنا كافة ، كما عملت جاهدة على صقل مجال الشذوذ والضعف فيها ، صورة عملية بل نظاما نموذجيا تجلى فيه ناد من أنديتنا المصرية الناشئة ، أحسبه معدودا فى جملة الأمثلة القليلة الواجب أن تنحو نحوها أنديتنا المصرية وهيئاتنا وتشكيلاتنا جميعا .

عرف قيمة هذا التركيز والتوجيه للجهد الفردى الموزع ، نفر عامل ممن يقوم بأمر شركة مصر لنسج الحرير ، فى قسمها الصباغى القائم مبناه الضخم على مقربة من ضاحية حلوان ، فأفرغوا من ثمة شيئا من نشاطهم لربط طوائف العمال بأوثق روابط الألفة والأخوة والتضامن ، ولتعهد ملكاتهم العقلى ومواهبهم الراقدة بأسلوب عصرى من التهذيب العقلى والرياضى والفنى والخلقى ، يكون من هؤلاء الأفراد وحدات اقتصادية فعالة لها قيمتها الملحوظة فى ترقية مستوى العمل الصناعى ، ويفرغ هذا النشاط الفردى المشترك ، من ناحيته الاجتماعية ، فى أروع مظهر له .

ما سبيلهم إلى تحقيق هذه الأهداف إذن ؟ إنه "النادى" قد ارتأوا فيه خير جامع لهذه الجهود الفردية وأفضل ما يساعد جموع العمال على إظهار ذكائهم المصرى الدفين .

يتشعب كيان هذا النادى الى شعبتين أصيلتين ، هما المصدر لكل ما يتفرع عنهما من روافد وفروع تنتظم حياته الاجتماعية فى شتى نواحيها . فالشعبة الأولى تتمثل فى الناحية الثقافية بانتهاج سياسة تهذيبية تغذى الفكر وتثقف العقل وترقق الذوق وتحيى فى النفس الخشنة الجافة أنبل ما يهجس فى وجدانها من عواطف ومشاعر . وتستقل الشعبة الأخرى بالناحية الرياضية تمارس فى شتى أساليبها العصرية وألعابها المنوعة .

أما عن الشعبة الثقافية فهى قد تبدت فى صور من النشاط العقلى جديرة بالاعجاب حقا فهناك دورة أسبوعية للمحاضرات والمناظرات روعى فى اختيار موضوعاتها لصوقها بالشؤون العمالية والاقتصادية من ناحية ، ثم اقتباسها من شتى نواحى الثقافة الاجتماعية أفانين من الأفكار والحقائق تناسب مستوى العقلية العامة من ناحية أخرى . وهكذا يصبح فى ميسور السواد من العمال أن يستوعبوا مجمل ما يعرض عليهم خلالها من وجوه المعارف الإنسانية المبسطة ، فيتسع محيط خبرتهم بالعالم الخارجى المتطور وتتفتح قوى تفكيرهم المعلقة ، وتنمو حاسة النقد والابتكار لتحفز ملكاتهم ومواهبهم جميعا . ثم يأتى دور تثبيت هذه المعارف فى الذهن وفسح نطاقها على قدر ما يفى به الوسع ، بأسلوبين من الاطلاع هما وسيلة المعاهد

والمدارس الحديثة فى تثقيف أذهان طلابها وترقية مداركهم ، وأعنى بها الكتب من ناحية والتحرير والتأليف من ناحيـة أخرى . وقد يداخلك العجب إذا حدثتك بأمر تلك المكتبة التى ضمها النادى اليه وخصها بغرفة فخمة من غرفه الكثيرة ، وجمع فيها من أشتات الكتب ما يكاد يلبى مطالب الذهن لأعضاء النادى على اختلاف حظوظهم من الثقافة ، وخصهـا بميزانية تمدها بالمؤلفات والمجلات الجديدة ليتابع أعضاء النادى خطوات التطور فى حياتنا الفكرية عامة . وقد تجلى مظهر ثقافتهم الناشـئة فى صفحات تلك المجلة الظريفة المهـذبة ، يتعاون على تحريرها أعضاء النادى ، وتصدر فى نهـاية كل شهر حافلة بأفكارهم ونوادرهم ، فى مظهر يحدثنا بمـا أصابوه من نضج مبكر . ولعل الطريف فى أمرها أنهم احتالوا على غلاء نفقات الاصدار فلم يجعلوها على غرار المجلات المتعارفة من تجميع أوراق مضمومة على هيئة كتاب ، بل انهم اكتفوا بطبع صفحاتهـا على "التايبرايتر" والصق هذه الصفحات على سناد مستعرض يرتفع الى مستوى النظر ويتوسط منضـدة مستطيلة ، وقد رتبت الصفحات على العارضـة بحيث تفصل بين الصفحة والأخرى مسافة تفى بأن يشغل مايقابلها من فراغ الحجرة مقعد يلاصق المنضدة ، وهكذا يتكـفف المنضدة ذات السناد مقاعد بعدد صفحات المجـلة — وهى محدودة — يجلس اليها الأعضاء ليقرأوها بالتناوب مرة فى كل شهر ، فهى سجل حياتهم فى شتى نواحيها .

ولم يقف النادى عنـد حد جعل ثقافة أعضائه نظرية فحسب . بل إنه خطا فى سبيل إضفاء الصبغة العملية عليها خطوات فساحا مجدية ، تبدت فى سلسلة من الرحلات الرياضية العملية إلى مختلف بقاع القطر وإن الأعضاء جميعا ليحرصون على الانتظام فى هذه الرحلات كى لا تفوتهم تلك الفوائد العمليـة التى يغنمون منها أجل الفوائد الثقافية وأبقاها ، فضلا عما تجديه عليهم من ترويح للنفس وترويض للجسم وإحكام للقوى ، وهو ما يلزم أفرادا من الأمة هم أحوج طبقاتها إلى أن يحيوا حياة صحية ملائمة ، ولتحفظ لهم نشاطهم العملى على الأيام كاملا .

لم يقنع الأعضاء بأن تقف مظاهر ثقافتهم العملية عند حد الإفادة من المحاضرات والقراءة والتحرير . بل أبوا إلا تعميم هذه الروح قدر الطاقة بين جمهرة الأميين من العمال ، فشهروا على الأمية حربا عوانا ، وكان أن عنيت ادارة النادى بتلقين أولئك الأميين مبادئ القراءة والكتابة ، فضلا عن تقوية معلومات المبتدئين من العمال فيهما وقد خصصت من أجل هذا الغرض الاجتماعى الجليل فصلين تعلم فيهما حتى الآن ما يقرب من خمسين عاملا هم الآن قدوة غيرهم فى سبيل التعلم لكل من انضم إلى الشركة أميا . ولعل إعجابك بهذا الجهد المبارك يتزايد لو عرفت أن القائمين على أمر التعليم والتهذيب فيـه هم المثقفون من أعضاء النادى . وبهذا يتحقق التضامن الاجتماعى فى أروع صورة وأعلاها ، ويلحق بشعبة الثقافة

باب السلويات الاجتماعية الراقية ؛ وقد روعى فى اختيارها أن تكون خير حافز للأعضاء على أعمال المواهب الذهنية وتربيـة ملكة الإرادة . والذوق السليم ، فضلا عن الترويح عن النفس وجلاء مارات على القلوب من فتور وما علاها من ملالة وسأم ، فالبلياردو والشطرنج والبنج بونج ، وحل الألغاز الأدبية الطريفة وحفلات السمر الحافلة والتمثيل . و بالنادى مسرح مجهـز بكامل الأدوات الحديثة — الى غير أولئك من ألوان السلوى الاجتماعية المثقفة المروحة هى سبيل النادى الى أن يغنم الأعضاء من ورائها أجل الفوائد وأبقاها.

ثم يتأدى بنا مطاف القول الى شعبة الرياضة ، وهى فى روعة مظهرها رقوة اكتمالها مبعث فخر لهذا النادى لا ينقضى أيضا . فقد نشط النادى الى بث روح رياضية عاليـة بين الكافة من أعضائه من الصبية الى الشباب الى الرجال من الكهول ، واضعا نصب عينه بمعاونة المحترفين من أكابر الرياضيين ، أن يجعل من جسوم أبنـاء الشركة أعلى نماذج الجسم الرياضى السليم ، ليكون العمال على أتم أهبة ، جسميا وعقليا ، لما تتطلبه عمليـة الإنتاج من قواهم وتحيفه من نشاطهم ، ويتحقق من ثمة التوازن بين الجهد المبذول والقوى المكسوبة ! ؟

وقد صبح من آثار القسم الرياضى أن مهد ملاعب الكرة على اختلاف لعباتها وأعدها صالحة للباريات الرسمية فغدا ملعب كرة القدم (بجوار المصنع) بساطا تكسوه نواضر الأعشاب وأصبح ملعب كرة السلة والكرة الطائرة مضرب المثل بين الأندية الرياضية فى مصر . ووزعت الانارة بالملاعب ليتسنى للعمال ممارستها ليلا ؛ كما أقامت ادارة النادى حلقـة محترمة للملاكمة وأعدت أخرى للمصارعة . وعنيت برياضة رفع الأثقال بجهزتها بالأوزان الكاملة على النظام الأولمبى الحـديث . وهو ما كانت تنفرد به الأندية الكبرى من قبل . ولعـل ما يستأهل التسجيل أيضا فى هذا الباب تلك العناية البارزة التى حظيت بها الألعاب السويدية التى أجمع الطب الحديث على فائدتها الأكيدة . وان ما يدأب النادى على بثه من روح التشجيع والتكريم للنابغين من رياضييه بالجوائز المـادية ، لسبب أى سبب على بعث هؤلاء العمال بعثا رياضيا جديدا يكون فيه غنم لهم وكسب للشركة .

كذلك لقيت الحركة التعاونيـة — وهى إحدى نتائج هذا التضامن الاجتماعى الكريم أكبر عناية وأحفـل اهتمام من مجموع الأعضاء . والتعاون هو السر الأول واللغز السحرى فى نجاح أيما حركة جدية عامة أو خاصة ، وليست تحيا أمة تنكر شأنه الخطير فى تصريف أقدارها وتهمل شه وفرضه على الهيئات والأفراد فى شتى مناحى الحياة . ومن حسنات هذه الحركة انشاء "كانتين" بالنادى يهيىء للعمال ألوان الطعام الشهى النظيف فى مقابل ثمن تافه لا يتجاوز القرش الواحد للوجبـة الواحدة ، فى وقت ارتفعت فيه جميع أسـعار الحاجيات ارتفاعا فاحشا ، ناهيك بتعذر الحصول على كثير منها . كما أعد أيضا حاجيات بيوت الأعضاء بأسعار الجملة . وقد ابتدأت حركة هذا "الكانتين" بعمل قرض من حضرات موظفى

المصنع لم يصل فى جملته الى العشرين جنيها ، ولما أن اتسع نطاق الحركة وأعوزه المال لتوفير طلبات الأعضاء ، لم تبخل عليه ادارة الشركة باجابته الى طلبه فأقرضته مائة جنيه كانت فاتحة نجاح كبير لا زال يلقاه .

وحدث ولا حرج عن ذلك المسلك الخلق النادر ، يتبعه الأعضاء فى علاقة بعضهم ببعض ، وتسنده روح التعاون الكريمة ، فينبعثون الى ألوان من الخدمات والمودات يؤثرون بها بعضهم بعضا ؛ أظهرها تلك المساعدات والتبرعات المالية للعوزين المحتاجين منهم ، مما يخفف وطأة كل مصاب على الكافة ، وفى هذا يتبدى الإخاء الاجتماعى رائعا يأخذ بالألباب حقا .

ومن جميل ما أنتجته الفكرة التعاونية ما أعدته بالطابق العلوى للنادى — ونسيت الاشارة الى أن النادى يشغل مبنى من أفخم المبانى بحلوان — إعدادا على أكمل ما يمكن من النواحى الصحية والمنزلية ، ليكون بمثابة بيت للأغراب من الأعضاء يجدون فيه كافة ألوان الترفيه والراحة بعد عناء اليوم . وقد روعيت فى اختيار أثاثه البساطة والتناسق وسهولة التنظيف وتوفير الراحة ، وهذا كله فى مقابل أجر زهيد يتراوح بين العشرين والثلاثين قرشا فى الشهر للعضو الواحد .

واتجه تفكير النادى أخيرا الى العمل على استيراد المنسوجات واللوازم الضرورية للملبس ليتسنى لكل عضو من أعضائه الحصول على مستلزماته بسهولة وبتسعر فى متناول يده .

وفى اليوم الخامس عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٣ ، أقام النادى مهرجانه السنوى الأول لنواحى النشاط المختلفة بداره بحلوان . وتفضل بمشاهدة المهرجان حضرات أصحاب العالى والسعادة والعزة مدحت يكن باشا ، الدكتور حافظ عفيفى باشا ، عبد المقصود أحمد بك ، سيد اللوزى بك وكثيرون من الكبراء ورجال الأعمال ومندوبو وزارة الشؤون الاجتماعية .

أما بعد فهذه صفحة من صفحات نشاطنا الاجتماعى العملى المحمود ، كان فضل تسطيرها بمداد من ذهب لرجلين كريمين يعتمل بين جوانحهما أنبل طموحات العمل التعاونى الحافل هما الدكتور حافظ عفيفى باشا ، والأستاذ سيد زين الدين مدير مصنع الصباغة المذكور ، فلقد كانت لروحه الشابة ونزعته الديمقراطية وعنايته الفطرية بالناحيتين الرياضية والثقافية ، أكبر مشجع لهذا النادى حفز تقدمه الى الأمام خطوات ، فاستأهل من ثمة اهتمام الدكتور حافظ عفيفى باشا بمده بكل ضروب المساعدة والعون .

فإلى أعضاء هذا النادى الكرام والى حضرة رئيسه العامل ، والى القائمين بشركة مصر لنسج الحرير ممن ساهم ببناء لبنة فى هذا الصرح الاجتماعى الكبير ، نزف التقدير والتحايا ، والله المسئول أن يكثر من أمثال هؤلاء العاملين الذين تحس مصر حاجتها اليهم فى عصرها الجديد ، عصر الوجود والحياة .

صلاح الدين الشريف
المحامى

متاعب التموين ومطاعم الشعب

للأستاذ عماد الدين عبد الحميد

المحقق القضائى بالآثار

جمل تسمم . تجار يشكون . جشعون . قائمة سوداء . مطاعم للشعب

(١)

كثيرا ماوقعت فى الماضى حوادث تسمم ، مات بسببها كثيرون ، ونقل كثيرون إلى المستشفيات ومراكز الإسعاف بين الحياة والموت . ولعل أيا من الناس لاينكر أنه سمع فى حياته عن حادث تسمم من طعام " الكسكسى" ولعل أيا من الناس لاينكر كذلك أنه سمع فى حياته عن حادث ضبط بائعى الأطعمة يبيعون للناس لحم الحمير والكلاب ، أو يشطرون لهم " السندوتش" بكبد ومخ بعض هذه الحيوانات ، أو بالفاسد من اللحوم .

ولم يكن الناس يعيرون مثل تلك الوقائع كثيرا من العناية أو الاهتمام إذ كانوا يرونها ناشئة عن اهمال تاجر وعبثه فحسب ، وهم مطمئنون إلى أن الحكومة جادة فى مراقبة المحال ، جادة أيضا فى منع تكرار مثل تلك الحوادث ، وجادة أخيرا فى أن تنزل بمرتكبى تلك الجرائم أقسى ألوان الجزاء الذى تسمح به القوانين .

لكن الناس قرأوا أخيرا ، وسمعوا كثيرا عن قصة جمل تسمم ، توجز فى أنه كان جملا ومات ، فنزع عنه صاحبه جلده يفيد منه ، وألقى بالجمل فى الماء ، وبقى الجمل ملقى فى الماء وقتا ما حتى تسمم ، وحتى رغبه من الماء جزار ؟ نقله إلى مكان من قريته ، وأذاع بين الناس أنه يبيع لحما بأقل من السعر الرسمى ... فهرع الناس إليه يشترون منه متحرزين فرصة طيبة سمحت لهم بها الأقدار فمكنتهم من أن يأكلوا لحما يدفعون ثمنه بما فى طاقتهم .

ثم كانت حكاية موت سبعة ونقل أربعين إلى المستشفيات ، واعتقال الجزار ، وبدء التحقيق ، إلى آخر مانشرته الصحف فى حينه من اجراءات .

لم تمر حادثة تسمم الجمل هذه المرة كما كانت تمر مثيلاتها فى المرات السابقة ، لكن الناس نظروا إليها بالمنظار الاجتماعى الذى لم يكن بد من أن ينظروا به إليها فى هذه الأيام . فاذا الناس جميعا يتحدثون بها ويتناقلونها ، ويثيرون المناقشات حولها كبأ من أهم أنباء أيام الحرب .

(٢)

وقد قرأت أن جماعة من أصحاب المطاعم قد شكوا من أن الخبز الذى يأتيهم من المخابز والذى يقدمونه هم لعملائهم ينافى كثيرا فى مظهره وفى جوهره ما أسرت الحكومة بأن تكون فيه حال الخبز ، تلك الحال المعينة المقبولة التى على أساسها حددت الحكومة لرغيف العيش ثمنه الحالى ، مراعية فى هذا التحديد تكاليف إنتاجه ، والربح المناسب المعقول لمنتجه .

إن شكوى أصحاب المطاعم من الخبز الذى يأتيهم من المخابز دليل كاف على أن غش أصحاب المخابز فى إعداد الخبز قد وصل ، فى بعض الأحياء ، حدا صار متعذرا معه على أصحاب المطاعم أن يقدموه لعملائهم ، وصار من المتعذر على كثير من الناس أن يقبلوا من المطاعم ما تقدم إليهم من خبز ... فالمطاعم — كما اعتقد — لم تكن لتشكو لو أنها وجدت فى إمكانها أن تقدم هذا الخبز لعملائها فيقبلوه راضين قانعين ، وهناك الخبز الرسمى وهو أكثر جودة من ذلك الخبز المغشوش وصانع الخبز الأوفر جودة ليس متبرنا ، ولكن صانع الخبز الردئ غشاش سارق جشع ، يلزم أن يؤخذ بأشد أنواع الجزاء .

(٣)

وكثيرون هم هؤلاء التجار الجشعون ... !

فقضاياهم تحال إلى المحاكم العسكرية بالمئات ... ، منهم غشاشون ، ومنهم بائعون بأعلى من الأسعار المقررة رسميا ، ومنهم حابسون لبعض أنواع السلع عن السوق ، ومنهم مهربون لبعض مواد التموين بغير الطريق المشروعة ، تختلف أوصاف أعمال هؤلاء ، ولكن هذه الأعمال جميعا تتحد عند غاية واحدة هى الربح الحرام ، وعند نتيجة واحدة هى التأثير على الأسعار فى السوق ، وعند ضرر مؤكد يلحق أخيرا بالشعب .

هؤلاء إذن أعداء الشعب وخصومه ، فى يوم شدته فهم لا يستحقون من المسئولين عن رداية مصالح هذا الشعب ورفاهيته غير الأخذ بأقسى أنواع الجزاءات .

إن هؤلاء يمكن أن يعدوا مرتكبين لجناية الخيانة العظمى ، فإنهم بأعمالهم هذه انما يعرضون الوطن المصرى — شعبه وسمعته — للخطر . فمن حق الدولة أن تشرع من النظم ما يجعلها مستطيعة أن تأخذهم بجزاء جرائمهم على أساس هذا الوصف .

— ٤ —

لقد أعجبت كثيرا بفكرة نشر قوائم سوداء ، كل أسبوع ، بأسماء ومحال التجار الذين تثبت مخالفتهم لنظم التموين وقواعده ، إن فى هذه الفكرة اعترافا بالتشهير كعلاج مساعد لإصلاح حال التموين فى بعض صوره . ولكنى أريد أن تخطو هذه الفكرة خطوة واحدة بعد هذا ، لنعترف بالتشهير كجزاء قانونى للمخالفين ، أريد أن يعترف بالتشهير قانونا كجزاء لازم يصدر به الحكم فى جميع حالات الادانة ، وتتولى الاذاعة الرسمية مع الصحافة مهمة تبليغه الى جمهور الشعب ، كأنباء لها قيمتها ولها أهميتها .

هذا من جانب الحكومة ، وأما من جانب الشعب فمن واجبه ألا يتلقى القائمة السوداء للعلم فحسب ، ولكن للعمل أيضا . فأى عمل من حق الشعب ومن واجبه أن يؤديه تجاه مجرمى القوائم السوداء ؟ .

من حق الشعب ومن واجبه أن ينظر إلى هؤلاء كمجرمين فى حقه يلزمه أن يحرمهم من عطفه وتشجيعه بأن يمتنع عن معاملة هؤلاء الذين يجرمون فى حقه ويريدون — للربح الحرام — أن يجرموه من قوته فى وقت شدته .

هذا حق للشعب وواجب عليه ، وفى أدائه موت تجارى بالنسبة إلى بعض هؤلاء التجار . . . وإضعاف تجارى نسبى بالنسبة إلى بعضهم الآخر . هذا الموت وهذا الاضعاف يلزم أن يكونا ، ويلزم ألا يتردد الشعب فى العمل لتحقيقهما ، إن التجار الجشعين يجيون وإن مات الشعب . . . فليموتوا هم إذن — بجناياتهم ليحيا .

بقيت كلمة قصيرة تستطيع الدولة أن تتولاها بعنايتها وتنفيذها ، تجاه هؤلاء التجار الجشعين ، هى أن يحرم كل تاجر تثبت إدانته فى إحدى جرائم التموين عامة ، وما يتصل منها بقوت الشعب الضرورى وكسائه اللازم خاصة ، من حق الاتجار بعد إدانته فى الساعة التى كانت موضوع الإدانة حتى تنتهى الحرب بكل آثارها .

— ٥ —

بعد هذا العرض الموجز ، المتصل المتناثر . يستطيع الإنسان أن يعرف القيمة الحقيقية لمشروع الإكثار من مطاعم الشعب فى هذه الأيام .

هذا المشروع الذى نادى به معالى وزير الشؤون الاجتماعية ، وبذل فى سبيل تحقيقه جهودا كبارا ، كى يستطيع أن ينشئ فى وقت قريب ما يقرب من مائة مطعم جديد للشعب

فى القاهرة ومثلها فى الاسكندرية . تقدم للناس فى هذه المطاعم وجبات من الطعام الجيد المفيد ، بأثمان معقولة لا تتجاوز كثيرا ثمن رغيف الخبز .

إن العمال ليفيدون ماديا وصحيا من هذا المشروع ، و إن الطلاب ليفيدون من مثله كثيرا بتحقيق فكرة مطاعم الطلبة فى الكليات والمعاهد . وميزانية الدولة مثقلة الآن بأبواب الصرف فهى تستطيع أن تشترك فى مثل هذا المشروع ولكن فى حدود الممكن المعقول . لكن هناك ميزانيات أخرى أكثر احتمالا وأقدر على توفير كل ما يلزم من مال ، تلك هى ميزانيات الهيئات التجارية والصناعية وميزانيات الموسرين من الآحاد .

هؤلاء يجب أن يعينوا الدولة على تحقيق هذه الرسالة ، وهم قادرون على هذا العون الكريم.

عماد الدين عبد الحميد

من كلام الإمام على

والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا ، وأجر فى الأغلال مصفدا أحب إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد ، وغاصبا لشىء من الحطام . وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها ، و يطول فى الثرى حلولها ؟ !

هل عندنا فتيات صالحات للزواج ؟ !

بقلم الكاتبة زينب محمد حسين

كثيرا ما يتساءل الرجال فى مصر، الأدباء منهم والمتأدبون (هل عندنا فتيات صالحات للزواج ؟) ويتخذون من أمثال هذا السؤال وغيره مادة لكتابة المقالات وحشو الكتب ، ومع ذلك لم نسمعهم يتساءلون مرة واحدة عما إذا كان عندنا رجال يصلحون للزواج أم لا ؛ وهذا لأن أنانية الرجل تأبى عليه دائما أن ينظر الى عيوبه وأخطائه بنفس العين المجردة التى ينظر بها إلى المرأة .

ولو تعمقنا فى نفسية هؤلاء الكتاب الذين يتددون بالمرأة المصرية المثقفة ويقررون عدم صلاحيتها كزوجة وأم متناسين أن عيوبها من صنيعهم ، لو تعمقنا فى نفسيتهم لوجدناهم يؤمنون جيدا برسالتها فى الحياة ولكنهم يغالطون أنفسهم كما أن سبق وقلت فى مقالى (هل للفنان أن يتزوج ؟) لينتصروا لأفكارهم الخاطئة ومبادئهم العرجاء ، ولكن الحقيقة التى يخفونها ولا ينكرها أحد، هى أن المرأة المصرية أصلح الزوجات، وإن كانت المتعلمة تمتاز عن الجاهلة فى تلك الصلاحية ، لأنه كلما ازدادت ثقافة المرأة كانت أصلح لإدارة شئون المنزل . فالمعرفة الكاملة تنير أمامها حقائق الحياة فتعرف حقوقها وتلم بواجباتها .

وليس هناك أى حقيقة فى قول من يقول بأن المرأة كلما تجرت فى آراء أفلاطون وأبى العلاء كلما نسيت وظيفتها كزوجة وأم . ولا شك أن هذه الآراء لا يقولها إلا رجل يعيش فى عزلة عن العالم الحديث منذ عشرات السنين ، وإلا ما كان يخرج علينا بدليل ملموس على أنه يفكر بعقلية القرون الوسطى، مع أن الحقائق الثابتة تؤكد لنا دائما أن الفنان يعيش فى المستقبل، بل أن عقله يسبق عمره بمئات السنين إن لم يكن بألوفها، كى يخلق للعالم فنا جديدا يظل حيا خالدا على مر الدهور .

ويستطيع كل من يتهم المرأة المتعلمة بعدم صلاحيتها كزوجة وأم أن يتصور ما يرتسم على شفتى كل امرأة مثقفة هانئة فى عشها المنزلى الجميل من بسمات متحدية إذا ما قرأت فى أوقات فراغها بعض تلك الأفكار الخيالية العتيقة .

ويستطيع أيضا أن يرى تلك الابتسامة على شفتى بحضرة المربية الفاضلة السيدة إنصاف سرى التى أخرجت للأمة المصرية آلافا من الفتيات الصالحات . تلك المربية الجليلة التى

كانت لنا ونحن فى مرحلة التعليم الثانوى ، وقت أن كانت ناظرة لمدرسة الأميرة فوزية ، أما حازمة لا تعرف اللين أو المواربة ، وما زلت أذكر كيف كانت تحشا بلغة الأمر بضرورة التحاقنا جميعا بقسم التدبير المنزلى الخاص بالمدرسة وقولها الدائم (إننى غاضبة على كل فتاة لا تدخل قسم التدبير المنزلى) ولا يستطيع القارئ أن يتصور معنى غضب المربية الجليلة .

وليس التدبير المنزلى هو كل شىء ، فقد كانت تلقى علينا فى محاضراتها الصباحية دروسا اجتماعية وعظات نافعة تهدف بها دائما الى إعدادنا للوطن كأمهات صالحات . ولم يكن اهتمامها قاصرا على وجودنا داخل المدرسة بل أن اهتمامها خارجها كان أجل وأعظم ، فقد كان لأولياء أمورنا عندها زيارات متتابعة كلها بقصد حثهم على مراقبة أعمالنا ، والابتعاد بنا عما يشوه أخلاقنا ، حتى أننى لم أنس بعد كيف كانت والدتى تقوم بعمليات تفتيش دائمة بين كتبى ودفاترى خشية أن أكون قد خبأت بينها إحدى المجلات الأسبوعية أو الروايات الهزلية . واستمرت أدامها الله على عادتها هذه أكثر عمر دراستى .

وكانت تلك القيود تضايقنى وتؤلم نفسى ، ولكن ها أنذا وقد بدأ عقلى يدخل فى طور النضوج ، وقد رأيت بعينى كيف تعنى بعض المجلات بنشر خبر مشادة بين مطربتين أو خبر شراء الراقصة فلانة خاتما ذهبيا ، أتساءل لماذا لاتكون كل المجلات مثالية ترتفع عن الإسفاف والانحطاط الخلقى حتى تعنى كل أسرة بجمعها لزيادة ثقافة أولادها وبناتها ؟

ولندع الاجابة على هذا السؤال لأصحاب الصحف والمجلات ؛ ونعود إلى موضوعنا فنتساءل : كم من الأسر كونتها تلك الألوف العديدة من الفتيات المحظوظات اللاتى كن تحت رعاية المربية الجليلة السيدة إنصاف سرى ؟ لاشك أنها كثيرة وكثيرة . وان كان هذا لايعنى أننى أقتصر على تفضيل مدرسة الأميرة فوزية على غيرها ، فلا شك أن هذا النظام يسرى الآن فى جميع مدارسنا المصرية التى أصبحت براعيها القوية تقف أمام كل ناقد ورقيب . ولكننى أتكلم عنها كحقيقة مجردة لمستها بذاتى كى أجابه بها أولئك الذين يتهمون المرأة المتعلمة بعدم اهتمامها بشؤون المنزل .

ولا يوجد دليل واحد على أن فتيات الجامعات لايعرفن الا التشبه بالرجال وإلا كتب "برنارد شو" و" فريدريك نيتشه" ، فها هى بيوت فتياتنا المصريات المثقفات تنبى عن أن المرأة المصرية المثقفة قد أمكنها أن تضفى على منزلها كل ما لمسته فى العلم من فن ، وماتذوقته بفضله من رقة وجمال .

وأدباؤنا أنفسهم لهم آراء متناقضة فى هذا الصدد ، فبينما يقول بعضهم فى كتاب له " ان القول بأن المرأة للبيت لا لمزاحمة الرجل لا يحول مطلقا دون تثقيف المرأة تثقيفا تاما لتكون زينة البيت وأستاذ الطفل ، ومعلم الجيل " وفى مكان آخر من الكتاب نفسه يعود

فيناقض قوله ويذكر أن " خريجات الجامعة يحذقن تقليد الرجل فى جهله بشؤون البيت ومعرفته بآراء افلاطون وأبى العلاء ولا يعرفن كيف تقلى بيضة ، فاذا مرض الطباخ أو خرج ، تغذى الزوج بزبدة أفكار أفلاطون ."

والمرأة ترقب كل هذه المتناقضات بهدوء وسكينة وتنظر إلى المعتدين عليها الغامطين لحقوقها نظرة الأم الحنون إلى طفلها الشقى العابث . وهى فى الواقع واثقة من سمو مكانتها فى هذه الحياة ، مقتنعة بأن عليها يتوقف توجيه الأمم ورفعتها وبأن رسالتها للمجتمع رسالة سامية تعلو فى بعض الأحيان على رسالتها كزوجة .

كما ان من الكتاب من يعيبون على المرأة تشبهها "بكلوديت كولبر" و"بتى جرابل" وقد أغفلوا أمر تشبه الرجل بروبرت تايلور والمرحوم رودولف فالنتينو ؟

ألم تخلق الرشاقة والتانق للمرأة كما خلقت الخشونة والتقشف للرجل ؟

ان للمرأة أنوثتها وللرجل رجولته ، ولا حاجة بنا لشرح ما بين الكلمتين من فرق ، فلكل منهما وقع فى الأذن له مدلوله ومعناه .

وانى أؤكد لكل شاب يحاول أن يشوه من جمال رجولته بما يصطنعه من نعومة وطراوة بأن المرأة لا يمكن أن تشعر نحو أمثاله إلا بالاحتقار والاشمئزاز ، وأنه لا يستويها فى الرجل إلا خشونته وكمال رجولته .

ولا يفوتنى هنا أن أتساءل عما إذا كان يصلح للقيام بأعباء أسرة وتمثيل دور الأب من نراه بأعيننا فى صالونات التجميل يتصقل أظفره ، ويقوم بعمليات " البرمانانت " و " الفريزية " لشعره اللامع كى يتناسق على وجهه الممسوخ ؟ .

أو ذاك الذى لا يشعر بالخجل وهو يتمسح بالسيدات على محطات الترام وفى عرض الطريق بينما رائحة " الماماريه " و " الجاردان سيكريه " تفوح من وجهه وثيابه ؟

أوذاك المخنث الذى يسير متأودا وهو يلوك فى فمه أغنية تافهة مثل تلك الأغانى المبتذلة الرخيصة التى تعنى بحاربتها مجلة الشؤون الاجتماعية ؟

أليس فى كل هذا الذى تراه المرأة من أشباه الرجال هؤلاء دافعا قويا لها على زيادة تبرجها والاسراف فى زينتها حتى يمكنها أن تقف أمام مزاحمها الجرىء الذى تراه قد مسخ رجولته تشبها بها ؟ .

إن المرأة لا تفعل فى الحقيقة شيئا غير ما تمليه عليها حمايتها لأنوثتها أمام عدوان بعض الرجال وطغيانهم على حقوقها .

فليكن كل الرجال رجالا ، تكن كل النساء ملائكة . ليعش كل منهم فى حدود وظيفته المقدسة ، فتستقيم الأخلاق ، ويمحى الفساد ، وتتقى الانهيار .

وليعلم كل من لا هم لهم إلا شن الحملات على المرأة المصرية وانتقادها ، بأنه قد آن لها أن تدافع عن نفسها ، وتثبت للعالم فضلها وسمو مكانتها . وأنها رغم كل ناقد ربة منزل موفقة تجيد تدبير المنزل ، وتدرك تماما مسئوليـة الأسرة ، كما استطاعت أن تجيد صوغ الشعر ومختلف الفنون .

ان من لا يعترف للمرأة بذلك فهو دون شك لم يلمس الحياة فى البيوتات المصرية الحديثة ، وإلا فهو يعنى بقوله وانتقاداته أولئك المدعيات اللاتى لم ينلن من التعليم إلا القشور ، وهن دون شك لا يصلحن لأن يكن أساسا للحكم على كل الفتيات المتعلمات . ومن حسن الحظ أن تلك الفئة قد زالت تقريبا برقى مستوى التعليم فى مصر ، وتعديل برامجه بما يتفق وروح العصر الحديث .

ولم تنفرد مصر وحدها بهـذه الفئة القليلة من أشباه المتعلمات ، فدوننا مؤلف الكاتبة الانجليزية " إلميس هاملتون " الذى تتكلم فيه عن المرأة الانجليزية وتذكر أن الفتاة " منهن كانت فيما مضى تخرج من المدرسـة وهى جاهلة كل الجهل بمسؤولية الأسرة وشؤونها ، وتعتمد على الخدم فى العناية بأمر المنزل وتحمل تبعاته " .

لقد تصادف أن زرت منذ بضعة أيام منزل إحدى زميلاتى ، وكانت قد تخرجت معى وتزوجت من زوج يماثلها ثقافة وميولا . وما أن دخلت منزلها حتى حسبت أننى فى جنة الفردوس .

لقد زينت صالونها بلوحات " رافاييل " و " بوتشيللى " و " ماجوزيللى " وغـيرهم من كبار الفنانين العالميين ، وكلها تنطق بسلامة ذوقها فى اختيار أوضاعها وانسجام ألوانها ، وجمـال فنها . وخصصت غرفة للمكتبة حوت الكثير من الكتب العربية والغربية ، القديم منها والحديث ، ولما تصفحت أحدها رأيت الزوج والزوجة " مهمشين " على الكتاب بما عن لهما من تعليقات على آراء المؤلف ، فأدركت انهما يشتركان سويا فى الفكر والعاطفة .

عندئذ تذكرت كلمة الكاتب الكبير الذى قال " إن اليوم الذى تعنى فيه المصرية باقتناء لوحة زيتية صغيرة أو " اسكس " بسيط ينم عن ذوق ، تزين به جدار منزلها ، هـو اليوم الذى يزدهر فيه عندنا التصوير . واليوم الذى تهتم فيه المصرية بشراء نسخة من كل كتاب للمؤلف الذى تفضله هو اليوم الذى يرقى فيه عندنا الفن والأدب " .

ليطمئن بال الكاتب الكبير وليثق أننا قد خطونا قدما إلى المدنية الصحيحة ونحو الفن الرفيع، لقد تعلمت الفتاة المصرية وتهذبت ، ومع ذلك فهى لم تزل مغبونة بين المجتمع ، وكأن ثقافتها جرم كبير اقترفته فى حق الرجل .

حقا لقد حارت المرأة فى العمل على إرضاء الرجل. فهى إذا ظلت جاهلة ، رماها الرجل بالرجعية والجمود ونفر منها واختار الاجنبية بدلا عنها. وهو لن يعدم حجة يبرر بها هذا العمل .

أما إذا تعلمت وتثقفت وتهذبت ، واكتسبت بالمعرفة خبرة تنفعها فى إدارة بيتها وتربية أولادها ، رماها الرجل بأنها لا تعرف كيف تدبر أمر المنزل ، وأنها تطعمه زبدة أفكار أفلاطون ، وضلع أينشتين ، وسلاطة جى دى موپاسان .

لقد حرنا مع الرجل واحتار هو نفسه فى أى التهم يختار ليقذف بها المرأة المصرية .

ليفهم الرجل جيدا أن المرأة هى أساس الكون ، وأن عليها تتوقف سعادة الأسرة ، وأنها هى رمز تقدم الأمم .

إنهم يرمون المرأة بأنها لا تقول كلمة الحق . فمتى يقول الرجال كلمة الحق . الكلمة التى قالها جان جاك روسو " الرجال من صنع النساء. فاذا أردتم رجالا عظماء ، فعلموا المرأة ما هى عظمة النفس ، وما هى الفضيلة " .

هى كلمة حق صراح ، فمتى يقولها من لا هم لهم إلا نقد أعمال المرأة المصرية وغمط حقوقها ؟

زينب محمد حسين

الفرقة القومية فى عهدها الجديد :

ألحان سيد درويش

تجىء فى وقتها المناسب

لإنقاذ المصريين من الغناء المريض

افتتحت الشعبة الغنائية بالفرقة القومية موسمها برواية الأميرة شهرزاد — أو شهر زاد كما سميت أخيرا — للموسيقار الموهوب المرحوم سيد درويش ، فكان هذا توفيقا كاملا للفرقة فى عهدها الجديد ، توفيقا يجئ فى وقته المناسب لإنقاذ المصريين من الأغانى والألحان المريضة المائعة ، التى تلح على آذانهم منذ خمسة عشر عاما ، لا يسمعون سواها من الغناء الإنسانى السليم .

يارحمة الله !

جئت فى أوانك . فشكرا لله !

إن هذه الأمة بخير ما دامت عناية الله تدركها هكذا فى اللحظة الأخيرة ؛ فمنذ أن مات " سيد درويش " وهى قلما سمعت لحنا تدب فيه الحياة ، أو أغنية واحدة تعبر عن شعور سليم ، حتى لقد تخدرت أعصابها بتلك المخدرات التى تصب عليها فى كل آن ، وتحطم شعورها فى كل لحظة ، وتنفث فيها الرخاوة و " الميانة " وتفسد فيها الفطرة البشرية ، حينما يتغنى الرجل وفى ألحانه طراوة المرأة وتكسرها وتميعها .

وحين تشرف الأمة على الهاوية يقيض الله لها من يبعث فيها ألحان " سيد درويش " ألحان الرجل الذى تنضح فطرته بالرجولة ، وينضح حسه بالسلامة . الرجل الفنان الذى يعتز بفنه ولا يتخذ منه تجارة رخيصة ، غرضه منها الربح المادى الحقير . الرجل الذى لا يحسب نجاح ألحانه بعدد ما يطلب منها من الأسطوانات فى السوق وهو يعلم أن أكثر الطلب إنما ينصب على أحط الأغنيات وأشدها إثارة للغرائز والشهوات .

كتبت مجلة الاثنين بمناسبة العرض الأول لألحان سيد درويش فى شهر زاد تقول :

" والرجل إذا رفع صوته بالغناء وجب أن يحس احساس الرجل ليؤدى أداء الرجل بكل ما فيه من رجولة . والمرأة إذا رفعت صوتها بالغناء يجب أن تحس احساس المرأة لتؤدى

أداء المرأة بكل ما فيها من أنوثة. والإماع غناء الرجل وشاه صوت المرأة، ولم يكن ما يؤديه أو تؤديه إلا أصواتا ممسوخة ينقصها المعنى والروح وكل ما يمثلانه من جمال فنى .

"كانت هذه عقيدة سيد درويش فى كل ما وضع وكل ما ألف . فكل غناء جرى على لسان رجل فهو الرجولة بكل معانيها ممثلة فى نشيد ، وكل لحن جرى على لسان امرأة فهو الأنوثة بكل معانيها تتساقط من لسان حسناء .

"ويأتى بعد ذلك الثوب الذى يلبسه النشيد من حزن أو فرح ، ورضى أو غضب . وكان سيد درويش يفرح فتفرح أناشيده معه ويحزن فتبكى أناشيده معه" .

وهـذا وصف صادق دقيق لسيد درويش وطريقته وألحانه أحسها كل من سمع هذه الألحان قديما أو سمعها الآن فى "شهر زاد" .

فأين من هذا ألحان تذاع الآن يغنيها رجل بينما المرأة تخجل من أدائها فى هـذا التكسر والتميع؟ أين هذا من : "تسمح تقول لى يا نور العين — مايهونش — بلاش تبوسنى فى عنى" — أو" وحشانى موت — عمرى ما حقدر أنساكى — أنساكى وافتكرك تانى " وهى دغدغة وتكسر لا يأتيهما الرجل السليم !

وأين من هـذا أغنيات فرحة أو حماسية تلقى فى صوت نائح حزين مثل : " مين زيى شاف الهنا"؟ أو"نشيد العلم" أو"نشيد الجهاد"وهى عويل أولى أن تقام له المآتم والمناحات !

وتسأل أصحاب هـذه الأغنيات لم تفعلون بأنفسكم هذه الأفاعيل؟ فيكون الجواب : إن الجمهور يطلب هـذا الغناء المريض ؛ ويوردون لك إحصائيات عن عدد ما وزع من الأسطوانات الضعيفة المعانى والتلحين والأداء ، وعدد الاسطوانات التى وزعت من الأغانى المرتفعة قليلا فى لفظها وأدائها . ويحسبون أنهم جاءوا بالدليل المقنع للتعنتين !

أهؤلاء ناس ينتسبون إلى الفن ؟ أم تجار فى سوق ؟

إن أغنية تلبى الغريزة تطلب أكثر من أغنية تلبى اللذة الفنية والشعور السليم ... هذا بديهى ، ولكن ألا توجد معايير أخرى فى الدنيا غير هذه المعايير ؟

إن تجار المخدرات يربحون ، وتجار الرقيق الأبيض يربحون ، وغيرهم وغيرهم ممن يلبون أحقر ما فى الطبيعة البشرية يربحون ... فمتى كان الربح وحده هو الحجة الأولى والأخيرة ؟

وإنك لتسمع من تجار الأغانى أنهم لا يحفلون بآراء النقاد طالما أن الجمهور يقبل على أفلامهم ويشترى أسطواناتهم ؛ فعقلية كهذه لا فائدة من إرشادها ، ولابد أن تستخدم الدولة سلطتها فى المصادرة والمنع ، رعاية لفطرة الشعب وأخلاقه وذوقه .

* * *

لقد استمع الناس إلى ألحان سيد درويش فأحس الجيل الجديد الذى لم يسمع من قبل إلا الغناء المائع أن ها شيئا جديدا يختلف كل الاختلاف عما اعتاد أن يسمعه ، شيئا فيه قوة وفيه لذة وفيه حياة .

لقد سمعوا : "أنا المصرى" وسمعوا "اليوم يومكم ياجنود" فأحسوا بالدم القوى يفور فى عروقهم ، وبالحماسة الفائضة تجرى فى نفوسهم . أحسوا أنهم مصريون ناهضون يرتلون نشيدا حماسيا ، وكان عهدهم بمعظم الأناشيد عويلا ونواحا فى الغناء الذى ينعتونه بالجديد !

وسمعوا لحن الأميرة شهرزاد ... وبقية الألحان التى تعبر عن روح خاصة فعرفوا كيف يعبر الجو الموسيقى وكيف ينبض بالحياة فى التمثيل ، وكان عهدهم بمعظم الأغانى أنها لا تعبر عن شىء خاص وليس فى ألحانها جو غير التكسر والعويل .

ومما يزيد فى قيمة هذه الألحان أن موضوع الرواية وجوها قد لا يساعدان على النجاح. ولكن الألحان برزت مع هذا بروزا واضحا يشهد بالقدرة و بالبراعة فنجحت الرواية ذلك النجاح العظيم .

وقد اعتدنا من كل ملحن فى هذه الأيام وكل موسيقار أن يسرق ويسرق ؛ فكل مانطلبه منهم أن يعيدوا السرقة من "سيد درويش" نعم ليسرقوا فقط من هذه الكنوز حتى يفتح الله على مصر بموسيقار موهوب كسيد درويش .

* * *

إن هذه الأمة بخير ، فقبل أن يلهم الله القائمين على الفرقة القومية أن يبعثوا ألحان سيد درويش ، فتشت هذه الأمة عن فطرتها السليمة التى كاد الغناء المريض يقضى عليها ، فالتجأت الى الأغانى الشعبية الساذجة ، التى تنطق بالرجولة والقوة والسلامة ، وان كانت لاتعد شيئا فى عالم الفنون. التجأت الى هذه الأغانى الساذجة فانتشرت فى كل مكان ورددتها الألسنة وارتفعت بها الحناجر فى الطرقات ... وكان هذا فى نظرنا دليلا حاسما على أن خمسة عشر عاما لم تستطع أن تفسد مزاج هذه الأمة ولا أن تقضى على فطرتها القضاء الأخير .

فاليوم تبعث ألحان سيد درويش فتجد فيها هذه الفطرة خط دفاعها الثانى ، وتلجأ اليها من تلك المخدرات التى تصب فى آذان الناس صبا راضين أو كارهين . فعسى أن تجتهد محطة الإذاعة فى إذاعة هذه الألحان مثنى وثلاث ورباع ، عدد ماتذيع من الألحان الأخرى المتكسرة المتميعة ، وانها لتخدم الأمة بذلك أجل خدمة وترد عليها كنوزها المفقودة بعد الزمن الطويل .

والعرقة القومية ماذا تطلب اليها ؟ إننا نطلب أن تستمر فى خطتها الموفقة فتعيد جميع مسرحيات سيد درويش ، وتعيد على الآذان ألحانه المحبوبة وأغانيه الحية فى الحين بعد الحين .

ومرة أخرى نقول :

يا رحمة الله !

جئت فى أوانك ، فشكرا لله !

س . ق

أقوال فى الموسيقى

(١) قال أفلاطون : " من حزن فليسمع الموسيقى ".

(٢) وقال أرسطو : التذاذ النفس بالمحاكاة والألحان والأوزان هى السبب فى وجود النزعات الشعرية وبخاصة عند الفطر الفائقة .

(٣) وقال صاحب العقد الفريد : " قال الأطباء : إن الصوت الحسن يسرى فى الجسم ويجرى فى العروق فيصفو له الدم ويرتاح له القلب وتنمو له النفس وتهتز له الجوارح ".

تسعيرة العلم وضرورة الغائها

للأستاذ عريان سعد

كادر الوظائف والمنشور الذى يفسره ويحدد المرتب الذى يمنح لحامل كل شهادة فى الواقع ماهو إلا تسعيرة للعلم ؛ ولو أن أحدا لا يشعر أن للعلم تسعيرة . شهادة ليسانس الحقوق بعشرة جنيهات فى الدرجة السابعة فى الوظائف الإدارية و ١٢ جنيها فى وظائف النيابة وثمانية جنيهات فى الوظائف الكتابية .

وشهادة الدراسة الثانوية بستة جنيهات والدكتوراه ١٥ جنيها والماجستر لا أدرى بكم من الجنيهات .

هذه التسعيرة فى الواقع هى أساس الاقبال على الجامعة الاقبال الذى لا نظير له فى دول العالم[1] وأى منتج يرى تسعيرة إجبارية لصنف من الأصناف ولا يبذل جهده فى إنتاج ذلك الصنف ليضمن الكسب الذى لا شك فيه عند بيعه بحسب التسعيرة .

وقد كانت الحكومة أيام افتقار البلاد إلى حملة الشهادات مضطرة لاستخدام المتعلمين فوضعت للشهادات أسعارا مغرية وجعل التلاميذ وأولياء أمورهم يختارون من انواع التعليم ما هو أكثر من غيره ثمرة وأغلى شهادة .

والآن لو أن الحكومة فصلت الشبان من موظفيها جميعا لما وجدت فى وظائفهم الحالية متسعا لحملة الشهادات العالية الذين لا يعملون فى الحكومة والذين لا ينفكون يطرقون أبواب وظائفها المقفلة ومع ذلك لا تزال التسعيرة موجودة : البكالوريا بستة جنيهات والكفاءة بأربعة جنيهات وعمل لها فى الكادر درجة جديدة اسمها الدرجة التاسعة وليسانس الحقوق بعشرة جنيهات الخ مع أن طبيعة الأمور تقضى بأن يحدد الأجر للوظيفة نفسها لا لمؤهلات شاغلها ، فان خلت وظيفة أعلنت الحكومة عنها فتقدم لها من يقبل العمل فيها بأجرها ودرجتها مهما علت مؤهلاته .

---

(١) جاء فى تقرير لجنة المالية بمجلس الشيوخ أن انجلترا تنفق على التعليم الأولى ٦٦ مليون جنيه والعالى ٩ مليون أى بنسبة ١/٧ — ١ ومصر تنفق على التعليم الأولى ٢ ١/٢ مليون جنيه وعلى العالى والجامعى أكثر من مليون جنيه أى بنسبة ٢ ١/٢ — ١

إنى أظن أن ذلك خير للحكومة لأنها تستخدم فى أعمالها أحسن الشباب ثقافة فيرتفع وسط الموظفين من الحاجب الذى يقف على الباب إلى من يقوم بأحسن الأعمال. فمن المثقفين من تفرض عليه ظروفه الرضا بأقل الأجر لأنه إن لم يجده ربما عاش عالة على غيره وليس يضير الرجل العالم أن يعمل فى أقل الأعمال الشريفة منزلة وأجرا، وحسبه منزلته العلمية ولكن يضيره من غير شك أن يعيش عالة على أخ أو ام أو عم .

كنا نسمع من يسافرون إلى سويسرا أن من السويسريين من يعمل حمالا أو حوذيا أو سائق تاكسى وهو متعلم حاصل على إجازات علمية، وكنا نعجب لذلك أشد العجب ولكن ما وصلنا إليه الآن أصبح قريبا من ذلك فالحاصلون على الإجازات العلمية يزيدون بكثير عن الوظائف التى كان أمثالهم يجدونها فى سهولة ومن غير بحث من عشرين سنة مثلا، ولم يبق أمام هؤلاء السادة العلماء إلا أحد أمرين إما الرضا بالعمل مهما قل أجره، وإما البطالة والعطلة؛ أما التسعيرة فلا مجال إلى تطبيقها فقد زادت البضاعة عن حاجة المستهلك .

ولكن ما دامت التسعيرة قائمة معلقة على أبواب الحكومة مكتوبة فى الجريدة الرسمية كما حددها الكادر وملحقاته لكل شهادة أجر يتناسب مع السنين التى قضاها حاملها فى الحصول عليها فإن أصعب الأمور على الشاب العالم أن يرضى لشهادته التى يحملها سعرا أقل من السعر الرسمى، ولو أن الحكومة ألغت هذا الكادر كله وجعلت مكانه أجرا للوظيفة نفسها فمتى خلت عينت فيها وبأجرها أحسن من يتقدم لها ثقافة وأصلحهم لها علما ودراية إذن لنسى الشاب العالم الذى أتم تعليمه فى الكلية ومنحته إجازتها أن لإجازته سعرا رسميا مقررا وأنه ليس من الكرامه أن يهدر كرامة تلك الإجازة وأن يذل العلم الذى تدل عليه تلك الإجازة بالرضا بأجر دون الأجر الرسمى الذى كان مفروضا لتلك الإجازة .

الشاب الذى يتقدم للعمل يجب أن يعلم أنه هو الذى يتقدم للعمل لا شهادته وأنه إن فضل على غيره عند تعيينه فى عمله فإنما فضل لأن الشهادة دلت أصحاب العمل على أنه خير من يصلح للعمل وأن ثقافته ستنفعه فى إحسان القيام بعمله ؛ فان أحسن القيام بعمله فقد دلت شهادته عليه دلالة حقيقية وقد أحسن أصحاب العمل فى اختياره لعملهم ، وإن أساء القيام بعمله وأفسده ، فإن أصحاب العمل لن يجدوا فى شهادته مهما علت عزاء عن عملهم الذى فسد .

إن الشاب المثقف لن ينزل إلى معترك الحياة ما دام للشهادة التى يحملها سعر محدد حددته الحكومة فان أراد الزعماء أن ينزل الشباب المثقف إلى معترك الحياة حقا فليطالبوا برفع هذه العقبة وإزالة التسعيرة عن الشهادات والإجازات العلمية ونقلها إلى وظائفها خاصة

عند ذلك ترجع إلى الشهادات قيمتها العلمية وتزول عنها قيمتها المالية فلا يأنف حامل شهادة من العمل بخمسة جنيهات لأن شهادته مقرر لها فى الحكومة ١٥ جنيها .

وعند ذلك تنفتح أمام الشباب أبواب الرزق التى أغلقتها تسعيرة الشهادات طوال السنين الماضية .

وعند ذلك يعرض عن الجامعة من يطلب درجة علمية محددة السعر يحملها فيحمل بها وثيقة تخوله الحصول على كذا من الجنيهات فيطلب العمل الذى يستطيع القيام به والذى لا يحتاج إلى ثقافة عالية وحسبه من الثقافة ما يمكنه من القيام بالعمل الذى يعلم أنه يستطيع الحصول عليه .

وعند ذلك يقتصر طلب الثقافة العالية على من يأنس فى نفسه الميل إلى العلم لطلب العلم ومن يستطيع إن لم يجد عملا أن يعيش لخدمة العلم مكتفيا بإيراده من ملك أو مال موروث .

وعند ذلك يتعلم متوسطو الحال ما لا غنى لهم عن تعلمه ليعدهم إعدادا صحيحا للعمل المنتج .

وعند ذلك يزول هذا السراب الذى يتدافع اليه الشباب سراب الشهادة العالية التى تأتى بالوظيفة حتما وبالراتب المفروض لها حتما .

لقد سمعت أن رجلا مستشرقا اشتغل مديرا لدار الكتب المصرية وكان راتبه ١٠٠ جنيه كل شهر فلما عاد إلى بلاده اشتغل مدرسا فى مدرسة صغيرة وكان أجره فيها يعادل ستة جنيهات مصرية ولم يأنف أن يتولى ذلك العمل ولم يجد فيه ما ينافى كرامة العلم ذلك لأن مواطنيه الذين يحملون المؤهلات العالية كثيرون ، وذلك لأن المؤهلات فى بلاده لا تسعيرة لها وإنما الأجر هناك للعمل فمن رضى القيام به وصلح له منح أجره ، أما علمه الفياض ودرجاته التى نالها بالدرس الطويل فعلم لنفسه لا يضفى منه على العمل الذى يتولاه أكثر من حاجة ذلك العمل إلى حسن الادارة .

عريان يوسف سعد

لماذا نفشل فى حياتنا العملية ؟

للأستاذ عيسى متولى

كثيرا ما نعزو إلى " الحظ " أسبابا لا دخل له فيها ، فاذا فشل أحدنا فى عمل من الأعمال ، أو حيط مسعاه فى مشروع من المشروعات ، رأيته يحمل على "الحظ العاثر" الذى حال دون نجاحه ، وساقه إلى الفشل ، وانتهى به إلى هذا المصير !

والواقع ، أننا نظلم " الحظ " حين نحمله تلك التبعات ، ولو تحرينا الحقيقة وجلوناها ، ورجعنا إلى أنفسنا وحاسبناها ، لأدركنا أن " الحظ " براء مما نتهمه به ، وأن هذا الفشل الذى أصابنا إنما كان نتيجة إهمالنا فى أداء العمل ، أو تقصيرنا فى القيام بأعبائه على الوجه الأكمل ، والفشل هو النتيجة الطبيعية لكل عمل لا ينفق فيه مؤديه الجانب الأكبر من عنايته ، وتفكيره ، واهتمامه .

وهنا أحب أن أسرد بعض الأخطاء التى يقع فيها كثير من التجار ورجال الأعمال وتكون سببا فى فشلهم .

ولست حين أسجل هذه الملاحظات أحاول أن أنتقص من قدر التاجر المصرى ، أو أنال من كرامته ، أو أغمطه حقا من حقوقه ؛ إنما أريد أن أوضح له فى صراحة نواحى النقص فى حياته العملية ليعمل من جانبه على استكمالها ، قدر استطاعته .

فبعض تجارنا ينصرف عن العناية بشؤون تجارته ، وإدارة أعماله بنفسه ، فتراه لا يباشر عمله إلا ساعات قليلة من اليوم ، ينصرف بعدها إلى لهوه وراحته ، ويعهد إلى موظفيه بكثير من الشؤون التى تستلزم إشرافه بنفسه عليها ، وأن يوليها ما تطلبه من العناية والاهتمام .

فإذا دخلت متجرا أجنبيا ، هرع اليك صاحبه ، وخف لاستقبالك فى بشاشة ظاهرة وتلطف ، مستفسرا منك عن حاجتك ، ثم ينتقل معك إلى مختلف أقسام المتجر ، عارضا عليك الكثير من الأصناف والألوان ، لتنتقى منها ما تشاء ، مما يزيدك رغبة فى الشراء .

أما اذا دخلت بعض المتاجر الوطنية ، فانك لا تجد فيه — مع بالغ الأسف — مثل هذه المعاملة والروح الطيبة ، فاذا سألت عاملا عن قسم من الأقسام ، أشار لك اليه فى شىء من الخشونة والعجرفة ، وإذا أطلت الوقوف فى قسم من الأقسام ، أظهر لك العامل تململه ، وتبرمه من كثرة طلباتك ؟ ...

فأى المتجرين تؤثر معاملته ؟

هذا الذى لا يعيرك صاحبه اهتماما . . أم ذاك الذى يرحب بك صاحبه ، ويعرض عليك خدماته ؟

لقد جهل أمثال هؤلاء الذين لايحسنون معاملة عملائهم ، أن التجارة ليست بمجرد مهنة تمتهن ... بل هى قبل كل شىء ... « فن » ... و « ذوق » . و « كياسة » . فيجب أن يعرف كل تاجر كيف يجتذب عميله ، وكيف يحادثه ، وكيف يكتسب ودّه ورضاءه .

إن لمعاملة التاجر عملاءه دخلا كبيرا فى نجاحه ، وإنك لتجد بعض الناس لايطيب لهم شراء شىء من لوازمهم إلا من محال معينة اعتادوا التردد عليها ، لايغشون غيرها مهما كانت الظروف ، لأنهم يرتاحون إلى معاملة أصحابها .

* * *

ويهمل كثير من التجار الإعلان عن متاجرهم ، ويضنون بما ينفقونه فى هذا السبيل ، ولو أنهم أدركوا فائدة الإعلان ، وما يعود به على صاحبه من جزيل الفائدة ، لما ضنوا بنصف رأس مالهم ، ينفقونه كله فى الإعلان ! . .

إن بعض الاقتصاديين يحتم إنفاق تسعة أعشار رأس المال فى الإعلان ، لما له من أثر طيب فى رواج المتجر واشتهاره ... والدليل على أهمية الاعلان أن الجامعات الأوربية قد خصصت بعض أقسامها لدراسة الاعلان كفن تجارى ، له قيمته ، وله أثره ... فلو أن التاجر اعتمد فى ميزانيته مبلغا للإعلان ، لعاد عليه الاعلان بأضعاف ما أنفقه ، ولاكتسب شهرة تجارية ذائعة ، تدعم مركزه التجارى فى السوق ، وتكون عاملا من عوامل نجاحه .

* * *

ولنظافة المتجر وتنسيقه أثر كبير فى نفوس روّاده ، ولا سيما فى متاجر الأطعمة والمأكولات ، لأن النفس تشمئز من هذه المحل التى لا تراعى فيها النظم الصحية ، وهذه ناحية عن النواحى التى يجب أن تستأثر بجانب كبير من عناية كل تاجر ، فيعنى بنظافة متجره لأنها شرط أساسى لنجاحه واردهار تجارته .

ولقد ساهمت وزارة الصحة ، فى السنين الأخيرة ، بنصيب مشكور فى هذه الناحية ، بما أصدرته من قوانين تكفل نظافة محال المأكولات ، صيانة للصحة العامة ، كما فرضت الوزارة رقابتها الشديدة على مختلف الأغذية ، مما كان له أطيب الأثر من الوجهة الصحية .

ويحسن بالتاجر أن يختار أحسن بضائعه لعرضها فى واجهة متجره ، وللأجانب فى ذلك ذوق ممتاز نلمسه فى ترتيب الواجهات « الفترينات » وتنسيقها تنسيقا بديعا يلفت الأنظار ، بينما لا يعنى بعض التجار بتنسيق واجهات متاجرهم ، فتراهم يكدسون فيها البضائع تكديسا

يذهب بروعتها ، وينقدها الكثير من جمالها ورونقها... ففي محال العطور الأجنبية مثلا ، نرى في واجهة المتجر بعض الزجاجات العطرية الصغيرة ، وقد نسقت في أوضاع هندسية جميلة . وفي محال الأزياء ، ترى بعض الملبوسات وقد عرضت عرضا بديعا يجذب الأبصار ، ومن هنا نستطيع أن نحكم على عقلية صاحب المتجر وذوقه ، برؤية واجهة متجره وطريقة تنسيقها .

* * *

ويستنكف بعض شبابنا من مزاولة الأعمال الحرة رغم أن هذه الأعمال تدر على محترفيها أضعاف ما تدره الوظائف الحكومية ، ولكنهم مع ذلك يحجمون عن مزاولة هذه الأعمال ويضحون بأرباحها السخية ، ويتهافتون على أحقر الوظائف وأبسط المرتبات ... بينما يقصد الأجنبي بلادنا خالي الوفاض لا يملك قوت يومه ، ويبدأ حياته العملية مكونا رأس ماله ، فلا يلبث أن تتضاعف ثروته ، ويتسع نطاق أعماله ، بفضل جده واجتهاده ومثابرته ودأبه على العمل ، فلا تصرفه أرباحه عن مواصلة السعي ومضاعفة الجهد ، بينما يدا خل الغرور بعضنا إذا صادفت تجارته رواجا ، فينصرف عن العمل ، ويفكر في الزواج من زوجة جديدة ، فكأن المال في هذه الحالة يكون نقمة عليه وعلى أسرته ، وما هي إلا سنوات قليلة حتى تعجز موارده عن مواجهة نفقاته ، فيفشل وتراكم على كاهله الديون وساءت مرتفقا !...

* * *

ولا يقنع بعض التجار بالربح القليل المعقول ، فيحاول أن يبتز من عميله ما أمكنه ابتزازه ، والعميل الذي يشعر بأنه يدفع أكثر مما يجب لا يعاود معاملة هذا التاجر ، وفي هذه الحالة يجب تحديد الأسعار ، لأن هذا التحديد يريح البائع ويطمئن المشتري ، إذ يجمعهما عند رقم واحد ، لا يختلفان عليه ...

ومن الظواهر السيئة في حياتنا العملية ، أن معظم التجار لا يحسنون المنافسة فيما بينهم ، فيقيمونها على أساس خاطىء ، لا تجدي منه فائدة ، حتى أن بعضهم يعمد أحيانا إلى بيع سلعة من السلع بدون ربح ، لينافس في ذلك تاجرا آخر ، وهذا النوع من المنافسة يضر بكليهما ، إذ يحرمهما حقهما من الربح .

إن ميدان المنافسة الشريفة متسع أمام كل رجل من رجال الأعمال ، ووسائل المنافسة المشروعة كثيرة متعددة ، وفي استطاعة كل تاجر أن ينافس غيره منافسة شريفة ، يستفيد من ورائها ، وليس من الحكمة في شيء أن يوصد التاجر في وجه منافسه أبواب الرزق باسم المنافسة ، أو يعمد إلى إيقاع الضرر والخسارة به .

أنتقل بعد ذلك إلى الكلام عن نواحى النقص فى العامل المصرى ، ولعل أسوأ ظاهرة نلمسها فى بعض العمال إهمال المحافظة على مواعيدهم ، مما يزعزع ثقة عملائهم بهم ، فحائك الثياب تعهد اليه بحياكة ثوبك ، فلا ينجزه فى الموعد الذى حدده لك ، بينما نرى العامل الأجنبى يحافظ على مواعيد عمله محافظة تحبب اليك معاملته ، وشأن الحائك فى ذلك شأن سائر أصحاب المهن والصناعات ، وهى ظاهرة سيئة تنال من كرامة العامل المصرى وتحط من قدره.

إننا نقلد الغربيين فى الكثير من العادات والأعمال ، فلماذا لا نقلدهم فى نواحى الفضيلة ونقتدى بهم فى تقديسهم للوقت واحترامهم للمواعيد ؟ !

إننا لا ننكر على العامل المصرى كفاءته ، وذكاءه ، ونشاطه ، وفى يقينى أنه لو أتيح للعامل أن يتمتع بكامل حقوقه ، و يطمئن إلى عمله ، فان ذلك ولاشك يحفزه إلى مضاعفة جهوده ، و إجادة صناعته .

ولقد خطت وزارة الشؤون الاجتماعية فى هذه الناحية خطوات سديدة موفقة ، عاملة على نصرة العامل ورفع مستواه ، بما أصدرته من قوانين العمل لحماية العمال ، والتأمين عليهم ضد حوادث العمل ، وتحديد أجورهم وساعات العمل لهم ، الى غير ذلك من القوانين العادلة .

* * *

وكثيرا مايكون الفشل نتيجة إقدامنا على عمل لانشعر نحوه برغبة ملحة تحدونا الى أدائه لأن للرغبة أثرا كبيرا فى النجاح يجب ألا نغفله ، فأنت إذا أقدمت على عمل لا ترغب فيه ولا تشعر بلذة فى تأديته ، لا يكون حظك من التوفيق فيه ، كحظك منه فى عمل تقدم عليه بصادق رغبتك ، ومحض إرادتك .

كما أن للظروف التى تحيط بالفرد أثرا ملموسا فى توفيقه أو فشله ، لأن الفرد يخضع لهذه العوامل ولكل وقت عمل يناسبه ، ولكل عمل ظرف يوافقه ، فاذا أقدمنا على عمل فى غير ظرفه ، أو خرجنا على الناس بمشروع فى غير وقته ، انصرفوا عنا ، وكان نصيبنا الفشل والحبوط ، أما إذا عرفنا كيف نختار لأعمالنا الأوقات والظروف التى تناسبها وتساعد على نجاحها ، فاننا نضمن فى هذه الحالة نجاحنا .

ومن الحكمة ألا نقدم على عمل من الأعمال ، أو مشروع من المشروعات ، قبل أن نقتله دراسة و بحثا ، حتى إذا ما اطمأننا إلى نتيجته أديناه ، و بهذا نضمن النجاح فى أعمالنا ونأمن من عاقبة الفشل .

عيسى متولى

قصة اجتماعية

المجند

للقصصي الكبير بلزاك

فى أمسية من أمسيات نوفمبر سنة ١٧٩٣ اجتمع فى صالون مدام " داى " بقرية "كارنتال" الفرنسية عدد من كبار شخصيات القرية . وكان صالون مدام "داى" يعتبر بحق المتدى اليومى للطبقة العليا من موظفى حكومة الثورة ، فيقضون السهرة فيه . وأصبحت تلك الاجتماعات دورية مألوفة . وشاءت المقادير أن تجعل لاجتماع هذا المساء أهمية خاصة.

كانت مدام " داى " قد أوصدت أبواب دارها أمام زائريها فى الليلتين السابقتين وأخبرت خادمتها بأن تعتذر إليهم بتوعك صحتها وعدم استطاعتها استقبالهم .

كان هذا الحادث الصغير موضعا للاستغراب بل الاستنكار خصوصا فى ظروف كظروف سنة ١٧٩٣ الثورية ، ومدام " داى " من الأشراف الملكيين ، وهى تعلم جيدا أن كل تصرف شاذ من الأشراف هو مسألة "حياة أو موت" .

كانت مدام " داى " أرملة ضابط كبير من قواد الجيش ، برحت البلاط عند ما هاجر الأشراف من فرنسا . ولما كانت لها أملاك واسعة ورثتها عن زوجها بقرية "كارنتال" فقد التجأت اليها على أمل أن تكون بعيدة ولو بعض الشيء عن خطر الارهاب .

ومع أن مدام "داى" لم تكن تعرف بحكم بيئتها إلا الأشراف من أهل القرية فقد استطاعت بما أوتيت من لباقة وكياسة أن تفتح منزلها لمختلف الهيئات التى تولت السلطة بعد الانقلاب الثورى ، فعملت على اجتذابهم نحوها معللة كل منهم بالانتصار على قلبها . . .

فهى جميلة جذابة ذات دلال ورقة ، يحمى هذه المغريات أخلاق عالية ، ولباقة نادرة. فكانت تطمع هذا بلا طائل ، وتمنى ذاك دون بذل ، تمنح هذا رضاها . ولا ترفض لذاك تملقه.

ومع أنها قد جاوزت الثامنة والثلاثين من عمرها فقد ظلت محتفظة بكل ما لها من تقاطيع الجمال النورمندى مع طلعة ارستقراطية وقوام رشيق ، وهندام أنيق . يشع من وجهها ضوء خلاب ، ويتلألأ فوق هامتها نور ساطع ، وتلتمع عيناها بنور قوى دافق يحوى الدعة والأسى العميق . فكنت تقرأ فى عينيها صورة من صور الحزن المكبوت .

ومبعث هذا الأسى العميق لا يخفى على من يعرف قصة مدام " داى ". فقد تزوجت

فى مقتبل العمر بضابط من أذبل فى نفسها عاطفة الشباب، وملأ قلبها حزنا عميقا . فضوء الحب الذى تلاشى من نفسها ، هو عينه ذلك الحزن الذى يتجلى لمن يتعمق فى عينيها الجميلتين ، وقتما يتجلى فى حركاتها .

إن هذه العاطفة التى حرمتها تركزت فى عاطفة واحدة ، عاطفة أسمى من العواطف التى عرفتها القلوب . عاطفة الأمومة ! !

إن تلك السعادة التى كانت تتمناها فى صباها ، ولذة الهوى الذى حرمته قد تحولتا إلى عاطفة واحدة اختصت بها شخصا واحدا ، شخصا فريدا : عزيزا ، شغل كل فراغ قلبها.. شخص ابنها ! !

انها تحبه وتعبده ، انها تحبه بكل ما تملك من حب وبكل ما تستطيع من عاطفة .

انها تحبه حبين . حبها الغريزى كأم ، وحبها كامرأة لم تحبب أحدا فى حياتها . فانضم الحبان حتى أصبح حبها أقوى من كل حب ، وكاد أن يكون هياما ، بل كاد أن يكون نارا تتأجج .

انها تواقة دائما اليه . قلقة إذا غاب ، تعسة إذا طال هذا الغياب . وهاهو الآن بعيد عنها ، لا تعلم من أمره شيئا ... هى التى ليس لها فى الحياة من أمل سواه .

عين هذا الابن الشهم فى الثامنة عشرة ضابطا فى الجيش برتبة ملازم ، وما أن هبت الثورة ، وهاجر الأشراف ، حتى تقدم الكونت الشاب لينضوى تحت لواء اخوانه الأشراف المهاجرين . فهاجر مع أمراء فرنسا وأشرافها فى فترة الثورة المعروفة بحكم الارهاب .

ولم تهاجر معه أمه واحتملت ألم غيبته عنها لكى تحفظ ثروتها العظيمة لابنها لتضمن سعادته . وكانت أموال المهاجرين وأملاكهم تصادر فى تلك الفترة ، فرأت أن تبقى هى لتسهر على المحافظة عليها . وقد رضيت بذلك لما كانت تسمع كل يوم من حوادث الفتك بالأشراف ، لقد أثلج صدرها نوعا أن ابتعد وحيدها عن خطر " الجيلوتين " وبهذا التدبير الصادر عن أمومة صادقة أبعدت الخطر عن ابنها وعن ثروته .

ولم يكن من السهل اقامتها فى " كورنتان " كسيدة من الأشراف تملك ثروة عظيمة فى تلك الجهة ، ثروة هى مطمع الشعب الفقير الثائر ... فحياتها كانت معلقة فى خيط رفيع واه . ولكن بقوة هذا الحب العجيب لابنها أمكنها أن تعمل المستحيل . فسرعان ما اكتسبت محبة فقراء هذه القرية بعطفها عليهم بالكثير من المال ، وحسنت كثيرا من بؤسهم كما أرضت ذوى السلطة من رجال الحكومة بفتح منزلها لهم وتنظيم تلك السهرات الممتعة .

كان ضيوفها كل مساء هم رئيس المقاطعة وعمدة المركز والنائب العام و بعض القضاة . وكان أكثرهم يتلقونها أملا فى التزوج منها . وكثيرا ما استعملوا تارة طريقة التلميح الى السلطة الواسعة التى فى يدهم ، وتارة بالتنافس على حمايتها من الخطر المحدق بها .

كان أكثرهم تهافتا النائب العام لأنه كان قبل وظيفته هذه وكيل أعمالها فى مدينة " كان " فهو الوحيد الذى يعرف حقيقة ثروتها الضخمة . بل هو الوحيد الذى يستطيع أن يعمل كل شىء بما له من السلطة الواسعة ... غير أن مهارة هذه الأم قد فاقت كل حد فاستعملت غريزة المرأة فى الخداع والتسويف لاكتساب الوقت أملا فى استقرار الحالة وعودة ابنها فى القريب العاجل . وظلت على سياستها هذه معهم طول المدة. حتى تلك الليلة التى شذت فيها بتصرفها الغريب ومنعت الزيارة بغتة !

انتشر الخبر فى القرية . وما أكثر الفضوليين فى القرى : فكل يحدس ، وكل يخمن ، وكل يستقرئ ؛ وسرعان ما زادت الاشاعات والتأويلات واشتركت نساء القرية وفتياتها وشيوخها ورجالها وانطلق كل يبحث عن خبر يذيعه أو حكاية ينشرها .

تفاقمت المشكلة فى اليوم التالى وازداد اللغز التباسا ! ذلك أن نساء القرية أذعن خبرا جديدا وهو : أن إحداهن رأت "بريجيت" خادمة الكونتس تشترى من السوق أرنبا بريا وجميع أهل القرية يعرفون أن الكونتس لا تأكل لحوم الصيد ! فمن هنا أصبح حديث الأرنب نقطة بحث وتنقيب جديدين ...

وصفوة القول أن الكل يوجهون لها من الشبهات الخطيرة ما لو صح لسلط سيف الإعدام على الرقاب .. لذلك همس اليهم المدعى العمومى بصوت خافت ألا يذيعوا شيئا من ذلك كى لا يحرجوا مركزه .

وكان من أهل القرية تاجر شيخ يخلص لها الصداقة ، هو شقيق العمده ، لم يطق صبرا على هذه الحال : لذلك ذهب والح فى مقابلتها . فلما قابلها فى الحديقة تجمع الزهور فى وعاء الأزهار؛ نقل إليها حديث أهل القرية ، وتأويلاتهم وصارحها بشكوكهم. عند ذلك شخصت إليه مدام داى بنظرات كنظرات المجنون جعلته يرتجف :

تعال تعال معى . وأخذته من يده حتى صارت به فى مخدعها ، ثم أخرجت من صدرها خطابا ذا بلاماوثا ودفعته إليه صارخة : اقرأ ! ثم سقطت فى كرسيها واهنة القوى .

وما كاد ينتهى من قراءة الورقة حتى فهم السر كله ! " اشترك ابنها فى حملة جرانفيل التى وقعت فى الأسر ، فكتب لها من سجنه يطمئنها على صحته ويبلغها أنه وجد طريقا للهروب وقد رتب كل شىء بصفة مأمونة جدا وأنه سيصلها فى ظرف ثلاثة أيام وسيحضر متخفيا" .

وفى ختام خطابه ودعها بحرارة إذا لا قدر الله ولم يحضر فى اليوم الثالث . ورجاها أن تعطى حامل الرسالة مبلغا عظيما مكافأة له على توصيلها بالرغم مما كان يحف به من الاخطار .

ثم تناولت السيدة النبيلة الرسالة بعد أن قرأها صديقها الشيخ قائلة وهى تنهض : وهاهو اليوم الثالث !

ولكنك ياعزيزتى ارتكبت طيشا : لماذا أرسلت فى شراء بعض الحاجيات من السوق.

افترضت أنه سيأتى هالكا من الجوع !

كفى ! إنى واثق من أنى ، وسأذهب إليه الآن وأحمله على مساعدتك بكل مستطاع .

وقبل أن ينصرف اتفق معها على معالجة الخطأ الذى حدث ورسم لها التلفيق الذى يقال وراح فى القرية يذيع تلفيقته المرسومة ... اذاع أنه زار اليوم الكونتس (داى) وأنها قد استردت صحتها بعض الشىء وأنها من هذا المساء على استعداد لمقابلة زائريها كالمعتاد بالرغم من توعكها ..... ولم يعدم الشيخ المحنك أجابات مقنعة لكل سؤال من أسئلة النورماندیات الفطنات بفطرتهن إذ كانت كل عائلة تسأله عن نوع المرض ... وطبيعته ... وشكله وصفته ! ولكنه كان أمهر عندما اخترع الوصفة المتفق عليها والتى صادفت نجاحا كبيرا ... "أن نزلة شديدة فى المعدة أصابت الكونتس وأن صديقها القديم الدكتور ترونشان السويسرى كان قد وصف لها ذات مرة فى حالة مثل هذه ، أن تضع على بطنها جلد أرنب برى ... مسلوخ حديثا ! وأن تمكث فى الفراش دون أى حركة ... فما كان منها إلا أن اتبعت الوصفة بكل بدقة ... حتى زال الخطر ! "

وسرعان مانالت هذه الأكذوبة الملفقة إعجاب الريفيات ! بل إن طبيب القرية نفسه زكاها و برهن علميا على صحتها !

غير أن بعض الرءوس العنيدة الضالة كانت لم تزل متشككة ..... لذلك بادروا وتسابقوا لأن يكونوا أول الزائرين عند الكونتس فى المساء .

راح الزائرون أفواجا يقصدون صالون مدام (داى) فى هذا المساء الخطير : البعض لمجرد الاستطلاع ..... والبعض ليهنئ الدكتور ترونشان ... فى شخصها الكريم ! والبعض بحكم الصداقة راح يبارك شفاءها .....

وجدوا الكونتس جالسة أمام الموقد فى الصالون فى تواضع أهل القرية وقد تعمدت أن تبعد الرياش الارستقراطية الفخمة هذا المساء ، وأن تتخلى عن مظاهر الأبهة المعتادة حتى لاتظهر أمامهم بمظهر يزيد عما يألفه الديموقراطيون، وعوضا عن ذلك أعدت لهم ولمة عشاء حوت كل ما يطيب لهم .

فالجمع الآن حافل : أعيان البلدة بعائلاتهم ، وكبار التجار ، وأرباب الحل والعقد ، وقد ألتفوا جميعا حولها فى دائرة كبيرة ، وكم من الأسئلة تطرح ... وكم غير واحد يستجوب... وبرزانة وذكاء تجيب على كل سؤال من أسئلة الفضوليين ..... وعلى كل استفهام من غبية أو غبى ... وكلما اقترب الوقت ازداد قلبها اضطرابا وسارع فى الخفقان ... وكم من انتفاضة هزتها كلما سمعت دقة بالباب ! وكم من صدمة فى القلب تخفيها اذا ماشعرت بوطء اقدام فى الشارع ، ولكن سرعان ماتخفى الكونتس اضطرابها بحكاية أو مسألة تطرحها على الحضور تتعلق بالمحصول تعرضها على زائريها عند ذلك ترى نقاشا قد دار حول محصول التفاح هذا العام... وآخر حول شراب التفاح... ومستقبله فى الشمال وما أشبه ذلك حتى نسى المجتمعون التجسس عليها . ولهوا بالتفاح عن مراقبة حركاتها وصاروا لا يرون فيها الا مظهرا طبيعيا لا ريبة فيه .

أما المدعى العام وواحد من قضاة المحكمة فكانا قليلى الكلام ، كثيرى الانتباه والملاحظة يرقبان كل حركة من حركاتها وكل لمحة فى وجهها وينصتان الى مايقع خارج الصالون بالرغم من ضوضائه ، وهما بين لحظة وأخرى يوجهان لها سؤالا محرجا ... فتجيب عنه بحذق وحضور ذهن خارق ! لله ما أشجع الأم .

ودخلت مدام داى تستنشق هواء الغرفة الجميلة — تلك الغرفة التى أعدتها لابنها أوجست ! ابنها الذى حان موعد حضوره ! ابنها الذى تنتظره بفارغ الصبر . تنتظره بقلب خفاق ، مضطرب ، وفكر مبلبل ، وفؤاد مكلوم ، مهموم — آه يارب ! لقد حان الوقت ولم يأت بعد ! هل ثمة ما حال دون قدومه ؟ لا . إن قلبى يحدثنى أنه سيكون هنا بعد لحظة . إنه حى . لا زال أوجست حيا ...

أنصتى ! ألا تسمعين شيئا يا بريجيت ؟ أواه . أهب حياتى لمن يخبرنى أهو فى السجن الآن أم هو فى الطريق الى ! لا أريد أن أفكر فى ذلك ...

وجالت مدام داى بنظرات ملؤها الحنان فى غرفة ضيفها الكريم . كأنما تريد أن تسأل نفسها هل ينقص ترتيبها شىء ! : الموقد جاهز يشع منه الدفء . والستائر مرخاة محكمة . والأثاث نظيف يلمع ويبرق . ولو نظرت الى السرير وترتيبه لحكمت بأنه نظم بيد الأم نفسها . بل إن ترتيب هذه الزهور الأنيقة لينم عن آمال هذه السيدة وعظيم حبها لولدها .

انظر الى هذا العشاء الفاخر الذى أعدته له ! انظر الى هذه الفطيرة وهذه الحلوى ! انظر تجدها لم تنس شيئا يحبه ! انظر حتى أتفه الأشياء ! الحذاء — القميص — زجاجة

نبيذ معتق — كل شيء . كل شيء ! ليس فى الدنيا من مخلوق يعرف مطالب جندى شاب متعب — غير الأم !

— بريجيت !

— اطمئنى يا سيدتى ! مالك ترتجفين هكذا. ثقى بأنه عائد بإذن الله ولم يعد الآن بعيدا عن المنزل . مسكين سيدى أوجست ! لا بد وأنه قطع الطريق كله على الأقدام !

— ها هى ساعة الكنيسة تدق الثامنة الآن يا بريجيت ! أواه ! متى ينصرف هؤلاء الضيوف !

* * *

ذلك هو الموقف فى بيت الكونتس. وتلك كانت حالتها فى هـذا المساء. بينما ترى الآن فى طريق (باريس — شربورج) شابا يرتدى بذلة قصيرة سوداء من ذلك الطراز الذى ختمته الثورة — يقطع الطريق ماشيا ، قاصدا (كارنتان) .

ولم يكن لقانون " التجنيد العام " الذى جعل كل شاب تحت السلاح فى تلك الفترة نظام ولا شبه نظام . إذ كانت شواغل الجمهورية لا تمكنها من تجهيز كل جنودها بالملابس العسكرية . لذلك كثيرا ما كنت ترى جموعا من " المجندين " فى ملابسهم المدنية . وكانت " ألايات " المجندين تسبق الفرق المنظمة أو تتأخر عنها عند كل مرحلة حسب طاقتهم فى المسير . ليتحملوا قطع الطريق الطويل. وكان يجوز للواحد منهم أن يسبق طابوره أو يتأخر عنه بمسافة ما إذا كانوا يقصدون "محطة" معينة. فهذا "المجند" الشاب الذى نحن بصدده كان يسبق (ألايه) بمسافة ما . ذلك (الألاى) القاصد قرية (كارنتان) والذى تلقى عمدتها تعليمات باستقباله وإيواء كل أفراده حسب المتبع ....

ترى الآن الفتى " المجنـد " وقد صار على مقربة من القرية . يجد فى السير بالرغم من فتور قواه .

وكان مسكن العمدة على مقربة منـه فلم يلبث أن أدركه . وجلس ليستريح عند رواقه الخارجى على مصطبة من الحجر ينتظر " تذكرة الإيواء " التى طلبها ....

ولكن العمدة أرسل فى استحضاره أمامه . واذا به يتشكك فى أمره ويوجه له أسئلة دقيقة! وكان " مجنـدنا " شابا وسيم الطلعة . بل يلوح من وجهه أنه من سلالة الأشراف:

— ما اسمك ؟

— جوليان چسيه

— ومن أين أنت آت ؟

— من باريس .

— هل زملاؤك بعيدون عن هنا ؟

— إنى سبقتهم بثلاثة فراسخ .

قال العمدة بخبث كما لو كان يفهم سرا : يظهر يامواطننا ، أيها المجند الصغير ، أن قرية كارنتان تجذبك بقوة ما . . . على أى حال لا أطيل عليك يابنى ! ستعرف أين ترسلك خذ هذه " بطاقة الإيواء " . اذهب يا " چوسيبه " ! . . . قال الاسم بتهكم وهو يناوله البطاقة وقد كتب عليها : "ينزل عند الكونتيس داى" . . . وقد قرأ الشاب هذا العنوان بشيء من التعجب والاستغراب . وانصرف قاصدا منزل الكونتيس .

ويتحدث العمدة الى نفسه كأنما يفتخر بعمل الخير : " هو الآن على مقربة من منزل أمه . كم هو جرئ ! وسريع الإجابة غير متردد ! ولكن ما ذا كان مصيره الآن لو أنه وقع فى يد غيرى وطلب منه أوراق شخصيته ! " .

* * *

فى هذه اللحظة كانت تدق ساعة (كارنتان) التاسعة والنصف مساء . وكانت قناديل الردهة الخارجية لمنزل الكونتس تضاء ، دالة على أن زائريها آخذون فى الانصراف الآن . فها هم الخدم يساعدون " أسيادهم " فى البحث عن قباقيبهن . . . وعن أغطية الرأس ووشاحات الرقبة . وانتهى اللاعبون وصفوا حسابهم . . . والجميع ينصرفون بضوضاء جماعات أهل القرى . وقد لاحظت إحدى المنصرفات — عند ما صاروا جميعا فى الشارع — أن المدعى العام لم يكن بين المنصرفين !

وكانت هذه الملاحظة صحيحة : فإن الموظف الكبير بقى ولم ينصرف . والآن يدور بينه وبين مضيفته المرتجفة ما يأتى :

— اسمعى يا مواطنتى العزيزة ! أنت تعلمين أن وظيفتى هى المحافظة على قوانين الجمهورية . . . فارتعدت فرائص الكونتس عند هذه العبارة . ولكنه استمر :

قولى بحق واكشفى السر حالا إن كان عندك سر . . .

— كلا . ليس عندى أى سر ! — فجلس المدعى فى مواجهتها وقد غير لهجته :

— اسمعى يا عزيزتى . أنت تعلمين أن كل كلمة صغيرة الآن ستؤدى بأحد رأسينا الى المقصلة ! لا تظنى أنى أجهل شيئا فقد لاحظت كل حركاتك فى هذه الليلة . ورأيت من ارتباكك ما أيد عندى أن ابنك لا بد حاضر هنا هذه الليلة وأنك تنتظرينه . أليس كذلك ؟

فأجابت نفيا . ولكن علاها الاصفرار وتقاطيع وجهها على الاضطراب بالرغم من شجاعة الليلة ! — على أى حال ياصديقتى يمكنك أن تنتظريه وتقابليه باطمئنان — انما على شرط أنه لا يبقى تحت هذا السقف إلا للساعة السابعة صباحا . أفاهمة ؟ وسأعمل ترتيبى باكر متذرعا بحجة أنه وصانى بلاغ من مجهول . . . سأدبره بنفسى ، وأحضر هنا بمقتضاه لإجراء اللازم . . . صوريا . . .

فشخصت اليه بعينين حائرتين تكاد الدموع تنفجر منهما . وفى هذه اللحظة الرهيبة يسمع طرق بالباب !

آه ! . . . صرخت الأم وفرائصها ترتعد وجثت على ركبتيها أمام محادثها :

نجه ! . عدنى أنك منجيه . أتوسل إليك ! فأنهضها بلطف قائلا : ثق بى ! فسنعمل معا على إنقاذه مهما كلفنا الأمر ! ولكن . . . لتتذكر سيدتى هذه الخدمة . . . ولتعلم أنها من الآن أصبحت مدينة لى ب . . . بنفسها !

ويسود سكون طفيف يعقبه صوت بريجيت التى تدخل فرحة تجرى ظانة أن الكونتس وحدها : سيدتى — سيدتى — ها ه . . . ولم تكمل آخر اللفظ عند ما وجدت الموظف الخطير مع الكونتس ؟ . . .

فسألها بخبث : من ؟ . . .

فأجابت متلعثمة : انه . . . أحد المجندين . أرسله لنا العمدة ليبيت هنا حسب القانون وها هى تذكرة إيوائه . فقال النائب بعد أن قرأ التذكرة : صحيح . أن عندنا تعليمات لاستقبال (ألاى) من المجندين هذا المساء — اسأذنك (وخرج) .

ليس عند الكونتس وقت للتفكير فى صدق نوايا النائب العام . . .

تراها الآن وقد علمت أن ابنها فى غرفته ، قد اندفعت نحو السلالم . . . هى تجرى الآن مضطربة هائمة ، وقد تلاشت قواها ، انها تدفع الباب ، وها هو الباب ينفتح ، وها هو ابنها ، وتراها الآن وقد ترامت فى أحضانه ، تكاد تفنى بين ذراعيه : أوه ! ولدى ! —

ابنى ! — طفلى ! وانطلقت تقبله قبلات حارة لا تدرى أين تقع ، دون دراية ، ودون وعى ، كأنها فى حمى عنيفة .

وهنا ، فى وسط هذه الزوبعة من العاطفة ، تسمع صوت هذا المخلوق الحى الذى بين ذراعيها ، يخاطبها : سيدتى ! !

* * *

آه ! — ليس هو ! — صرخت بهذين اللفظين الأم المرتعدة ، وقد وقفت كالتمثال لا حراك بها ولا تنفس . وعيونها شاخصة نحو هذا المجند الأجنبى ، وحدقتا عينيها قد ثبتتا فى موضعهما لا تتحركان يمينا ولا شمالا ، كأنما الدهشة شلت أعصابهما .

وترى بريجيت تصيح : يا ألهى المقدس الرحيم ، أى مشابهة بينهما !

وقد مضت فترة صمت رهيب حتى أن هـذا الضيف كان باهتا يرتجف لمرأى مدام (داى) .

اعتمدت الأم المسكينة على ذراع الخادم — زوج بريجيت — خائرة القوى ، محطمة الأعصاب ، وقالت فى أدب ورحمـة : سامحنى أيها السيد . واعذرنى اذا لم أستطع القيام بشؤونك الآن وسيعنى بأمرك خدمى .

ونزلت كسيرة تسندها بريجيت من اليمين ، وزوج بريجيت من الشمال ، وأجلساها على مقعدها . ولم تقدر بريجيت صرامة الموقف عن سـذاجة فتراها تعترض : كيف ياسيدتى يسمح لهذا الرجل أن ينام فى فراش سيدى أوجست ، ويضع قدمه فى (بانتوفلى) سيدى أوجست ، و يأكل تلك الفطيرة الجميلة التى أعددناها لسيدى أوجست ! كلا — كلا — لا يمكن ذلك ولو وضعوا راسى على المقصلة . أنا سأذهب ل .....

فصاحت بها سيدتها : بريجيت ! — فوقفت جامدة . وقد تدخل زوج بريجيت معنفا بصوت خافت : كم أنت ثرثارة يا بريجيت ، أنت تقتلين سيدتنا بهذه الألفاظ .

وتسمع الكونتس حركة فى غرفة المجند الأجنبى يفهم منها أنه أخذ يجلس على المـائدة ليأكل ، فيشق عليها الأمر فتخرج طالبة الهواء فى جانب من الحديقة :

— دعونى وحدى هناك . فأقف قليلا فى بيت الزهور القريب من الشارع لعلى أتبسم قدوما جديدا خلال الليل .

وهكذا ظلت تعلل أمالها فى الظلام الحالك ، يتجاذبها عاملان قويان : عامل الخوف أن تكون فقدت ابنها وعامل الأمل أن يحضر قريبا .

وكانت اللحظات ساعات ، والساعات أدهرا وأجيالا . وكان الليل ساكنا مخيفا ، والظلام دامسا رهيبا . واذا السكون ينشق عن حركة فى الشارع وما أقسادا لحظة على الكونتس ، وما أرهبها فترة عندما وجدت آلاى المجندين يدخل القرية ، وعندما شاهدت هؤلاء يتفرقون وكل شاب يأوى الى ملجئه . واذا الأمل يتهدم عند كل خطوة تسمع ، واذا القلب ينكسر عند كل ضوضاء تلحظ . واذ يسود الظلام وتسكن الطبيعة سكونا رهيبا مخيفا . وهى تنتظر وتترقب ، وتتسمع وتتلمس طوال الليل الصامت المخيف . حتى لاح الصباح ، فانطوت على نفسها حيرة يائسة . والتوت الى مخدعها فاترة ضائعة . واذا بريجيت فى الصباح تذهب الى غرفة سيدتها لتوقظها وهى تسائل نفسها لماذا لم تخرج سيدتى — لقد تأخرت فى نومها كثيرا .

واذا هى تدخل الغرفة ، فاذا الكونتس جثة هامدة .

* * *

ماتت الأم المسكينة !

زعمت بريجيت وهى تذرف الدموع الحارة أن نشيد المارسليز الذى كان يتغنى به الضيف الغريب طول الليل هو الذى سبب موت سيدتها .

هكذا زعمت ، ولكن لا . لم تمت الأم من ذلك ، بل خيال صادق مبعثه احساس عاطفى قوى بين الأم وابنها . إحساس ربط روحيهما بحبل واحد ، فاتصلتا اتصالا متينا وثيقا ، اذ فى اللحظة التى شاهدت فيها الأم من الخيال ما شاهدت ، كان الخيال حقيقة لا وهما ، وكانت الروح متصلة بينهما ، فقد ثبت فيما بعد أنه فى تلك اللحظة الرهيبة ، كان ابنها تفيض روحه ، اعداما بالرصاص !

سمير

طبعت هذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم ٢٠ من ذى الحجة سنة ١٣٦١
الموافق ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٢ م

مدير المطبعة الأميرية

محمد بكرى

نمرة الطبعة ٩٥٣٣-١٩٤٢-٢٥٠٠